اسم المقياس: النقد الأدبي القديم

اسم الأستاذ: محمد سيف الإسلام بـوفـلاقـــــة

المستوى:سنـة :01،ليسانس

التخصص:جذع مشترك ميدان اللغة والأدب العربي

بيبليوغرافيا المصنفات النقدية في المشرق والمغرب

الإحاطة في أخبار غرناطة أنموذجاً

ابن الخطيب وكتابه«الإحاطة في أخبار غرناطة»
-دراسة تحليلية-

ملخص البحث:

موضوع هذا البحث هو «ابن الخطيب وكتابه الإحاطة في أخبار غرناطة-دراسة تحليلية- »،وهو موضوع يتناول حياة مؤلف الكتاب ابن الخطيب،ويقدم دراسة تحليلية لكتاب الإحاطة، الذي يعد أهمّ مصدر،بعد كتاب: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب »للشيخ أحمد بن محمد المقّري التلمساني،في دراسة التاريخ السياسي، والثقافي، والأدبي، للأندلس والمغرب،فقد قدّم لنا ابن الخطيب الأندلس تاريخاً ،وثقافة من خلال غرناطة،وهو عبارة عن موسوعة أدبية شاملة،فيها من أنباء غرناطة،وسير ملوكها،ووزرائها،وأخبار شعرائها وكُتَّابها،وفيه من المعلومات-بحسب علمي- ما لا مثيل له في أي كتابٍ أندلسي آخر،وخاصة ما يتعلق بأعلام مدينة غرناطة.

وترجع صلتي بهذا الكتاب، ومؤلفه إلى سنوات خلت،حين أتيح لي الاطلاع على كتاب: «الإحاطة في أخبار غرناطة»،في مكتبة والدي،

ومما حفّزني على المضيّ قُدماً في خوض غمار هذا البحث أنّني لم أعثر على دراسة متخصصة في موضوع «التاريخي والأدبي في كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة)لابن الخطيب »، باستثناء بعض الدراسات التي تناولت جوانب أخرى من هذا الرجل المتعدد الجوانب،وأذكر من بينها:

1-دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر لديوان الصّيب والجهام والماضي والكُهام للسان الدين ابن الخطيب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1973م.

2-دراسة محمد بن أبي بكر التطواني:ابن الخطيب من خلال كتبه،تطوان،المغرب،1974م.

3-دراسة عبد الهادي بوطالب،وزير غرناطة لسان الدين محمد بن الخطيب،دار الكتاب،الدار البيضاء،المغرب،1960م.

4-دراسة محمد عبد الله عنان:لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري،نشر مكتبة الخانجي،1968م.

5-دراسة الحسن بن محمد السائح،منوّعات ابن الخطيب،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،مديرية الشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،1398هـ،1978م.

لكن بحثنا يختلف عن تلك الدراسات،فيدرس الكتاب، دراسة تحليلية ،مُركزاً على الجوانب التاريخية،والأدبية فيه.

وكانت الأهداف من البحث،هي:النظر في حياة ابن الخطيب،والتعريف بشخصيته، والكشف عن حياته الخاصة،ووصف عصره وبيئته،وتعدد آثاره،ومصنفاته،ودراسة كتابه الإحاطة،وتحليل محتواه،والتركيز على الجوانب التاريخية،والأدبية فيه،ولمّ أشتات الموضوع الموزعة على أربعة مجلدات، وسفر به نصوص لم تنشر من قبل،وإظهار قيمة الكتاب التاريخية، والأدبية،وتبويبه،والبحث عن مصادر ابن الخطيب،ودراسة أسلوبه،ومنهجيته...

وقد جاء البحث،في مدخل،وخمسة فصول،وخاتمة.

ففي المدخل تحدثت عن حياة لسان الدين ابن الخطيب،وعن آثاره،وعصره، فقسمته إلى ثلاثة أقسام رئيسة.

في القسم الأول منه،قدمت صورة عن حياة ابن الخطيب،معتمداً في ذلك على ما ذكره ابن الخطيب عن نفسه في بعض مؤلفاته،كما اعتمدت على كتب التراجم في القديم، والحديث،لأنّ، في الحديث عن حياته تفسيراً وتوضيحاً لاتجاهاته الفكرية،ورؤاه التحليلية التي نحن بصدد رصدها في آثاره، ومصنفاته،ولاسيما منها كتابه (الإحاطة)موضوع هذا البحث.

وفي القسم الثاني منه تطرقت لمصنفات ابن الخطيب،وآثاره في الأدب،والتصوف،والتراجم،والطب،وغيرها،وذكرت المطبوع منها والمخطوط، والموجود،والمفقود.

كما قدمت تعريفاً بكتاب الإحاطة،وتحدثت عن بواعث تأليفه،ومصادره،وأسلوبه،ومنهجه،وتطرقت إلى أهم مضامينه

وأتممت البحث بفذلكة سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ،وأبرز الجوانب التي تستحق التنويه،والذكر.

أماً المنهج الذي انتهجته في بحثي هذا،فهو المنهج التاريخي الذي يعتمد على الترتيب الزمني في تتبع الظواهر الأدبية والتاريخية،وتفسيرها،مع الاستفادة من مناهج أخرى كالمنهج الوصفي،والمنهج التحليلي الذي استخدمته عند دراسة كتاب الإحاطة.

القسم الأول: لسان الدين ابن الخطيب:حياته،عصره،آثاره

أولاً:حياته:

تعددت الأسفار،والدراسات التي تطرقت إلى حياة لسان الدين ابن الخطيب،ولعل ابن الخطيب كان في طليعة علماء الأندلس الذين حظوا باهتمام كبير من لدن مختلف الباحثين،والدارسين القدماء،والمعاصرين المشارقة،والمغاربة على السواء،وهذا الأمر يعود لجملة من الأسباب، قد يكون في مقدمتها موسوعية،و غزارة إنتاج ابن الخطيب،فالرجل خاض في شتى أصناف المعرفة،وهو شخصية متعددة الجوانب فهو الشاعر،والمؤرخ البارع،والأديب،والصوفي،والفيلسوف،والوزير،والسياسي، و بالتالي فمن الصعوبة حصر جميع ما كُتب عنه.

إن ابن الخطيب يعتبر أحد كبار العلماء الموسوعيين،ويؤكد عدد كبير من المؤرخين،والدارسين على أنه أعظم شخصية ظهرت بالأندلس في القرن الثامن،وقد كان عبقرية متعددة النواحي.

كان ابن الخطيب «يمثل بعبقريته،وقوة نفسه،وأصالة تفكيره،وروعة بيانه،وجزالة شعره أعظم ما تمخضت عنه الأندلس الكبرى من قبل تلك النماذج العلمية،والأدبية الباهرة،التي يزدان بها تاريخ التفكير الأندلسي،وكان بتعدد جوانبه،وسعة آفاقه،أكثر من وزير،وسياسي،وكاتب،وشاعر. كان مزيجاً من عبقريات متعددة،بلغ القمة في كل منها،ويندر أن تجتمع في شخص واحد،وكانت غرناطة تلك الأندلس الصغيرة،أضيق من أن تتسع لمثل عبقرياته،ومن ثم فإنا نراه خلال حياته المضطربة، سواء في المغرب أو الأندلس، يرتفع حيناً إلى الذروة،وينحدر أحياناً إلى غمر المحنة،تلاحقه تلك القوى الخصيمة،التي تضيق بنبوغه،وخلاله اللامعة.

وقد دون لنا ابن الخطيب ترجمة نفسه كاملة،في نهاية كتاب (الإحاطة)هذا، عدا ما أورده في سياق الكتاب،في مواضع عدة،عن مراحل خدمته السلطانية،وقص علينا كثيراً من حوادث حياته الشخصية،والسياسية في مختلف كتبه الأخرى،ولاسيما (نفاضة الجراب)،الذي يقص علينا فيه حوادث إقامته الأولى في

المغرب،وسلا،و(اللمحة البدرية)،و(ريحانة الكتاب) الذي يضم كثيراً من رسائله السلطانية [1]،وقد دون له معاصره،وصديقه الفيلسوف ابن خلدون ترجمة في تاريخه الكبير،ووصف لنا مأساة مصرعه المؤثر »[2]

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني،وذلك نسبة إلى سلمان،وهي بقعة باليمن نزلت بها بعض القبائل القحطانية،أو حي من مراد من اليمن ،عرب اليمن القحطانية،وتنتمي أسرة ابن الخطيب إلى إحدى هذه القبائل،وقد وفدوا على الأندلس بعد الفتح،ومنهم جماعة من الشام،واتخذوا قرطبة مقراً لهم، «وقد كانت قرطبة،وأحوازها منذ الفتح منزل قبائل الشام الوافدة على القطر الجديد،والظاهر أن بني سلمان كانوا ينتمون إلى الحزب المعارض للبلاط أيام الحكم بن هشام أمير الأندلس،فلما حدثت واقعة الربض المشهورة (ضاحية قرطبة)،وثار أهل قرطبة بتحريض حزب الفقهاء المعارض للحكم(سنة:202هـ-817م)،واستطاع الحكم أن يمزق الثورة،وأن ينكل بأهل الربض،غادر قرطبة كثير من المعارضين من الفقهاء،وغيرهم،وكانت منهم أسرة لسان الدين »[3]التي هاجرت إلى طليطلة وفق ما ذكره ابن الخطيب نفسه في مقدمة الإحاطة،وقد مكثت أسرته ما يقارب القرن ونصف القرن بالمدينة،وحينما شعرت بالأخطار المحدقة بها،حينما أضحت (طليطلة) عرضة لهجمات النصارى،غادرتها إلى مدينة (لوشة)،وهي المدينة التي ولد بها ابن الخطيب في الخامس والعشرين من رجب713هـ،(16نوفمبر1313م) [4].

وبالنسبة إلى لقب (الخطيب)ذكر لسان الدين أن بيتهم كان يطلق عليه تسمية (بني الوزير)ثم سموا (ببني الخطيب)،وهذه التسمية ترجع إلى عهد جده سعيد،الذي يعتبر أول من استوطن مدينة (لوشة)من أسرتهم[5]،وقد كان«عالماً ورعاً،وكان يلقي دروسه،ومواعظه تحت أطلال برج يجاور أملاك أسرته،ويقع على الطريق الممتد من غرناطة إلى إشبيلية ماراً بلوشة،ومن ثم فقد غلب عليه اسم الخطيب،وأورث هذا اللقب لبنيه،فعرفوا ببني الخطيب من ذلك الحين.ويحدثنا ابن الخطيب عن والده عبد الله،وكان من أكابر العلماء،والخاصة،ويترجمه لنا في الإحاطة.وقد ولد سنة: 672هـ، واستقر حيناً في غرناطة،ثم عاد إلى لوشة مقر بيتهم القديم،ثم عاد إلى غرناطة مرة أخرى ليلتحق بخدمة السلطان أبي الوليد إسماعيل،وهو الذي جلس على عرش غرناطة في سنة:713هـ (1314م)،ولما توفي السلطان أبو الوليد إسماعيل قتيلاً في سنة: 725هـ (1325م)،خدم عبد الله من بعده ولده السلطان أبا عبد الله محمد،ثم شقيقه السلطان (أبو الحجاج يوسف) أعظم سلاطين غرناطة،وقد

---

(1) محمد عبد الله عنان:مقدمة كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، ص:18.

(2)ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون المُسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ص:404.

(3) محمد عبد الله عنان:المصدر نفسه،ص:19.

(4) جرجي زيدان:تاريخ آداب اللغة العربية،مج2،ص:225.

(5) عمر فروخ:تاريخ الأدب العربي،ج6،ص:503.

(4)عبد الله عنان:المصدر السابق،مج1،ص:20 وما بعدها.

ولي العرش سنة: 733هـ (1332م).وخدم عبد الله في ديوان الإنشاء،مع الكاتب والشاعر الكبير الرئيس أبي الحسن بن الجياب،وأسبغ عليه لقب الوزارة،ثم توفي قتيلاً مع ولده الأكبر أخ لسان الدين في موقعة طريف الشهيرة التي هزم فيها المسلمون بقيادة السلطان أبي الحسن المريني عاهل المغرب،والسلطان أبي الحجاج يوسف أشنع هزيمة،وذلك في جمادى الأولى سنة: 741هـ(أكتوبر سنة 1340م)،وسقطت على إثرها طريف،والجزيرة الخضراء في أيدي النصارى،وكانت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون في المغرب،والأندلس مثلها منذ زمن بعيد».[1]

دخل لسان الدين الكتاب بمدينة (لوشة)مسقط رأسه،حيث حفظ القرآن الكريم وجوده،ثم تعلم مبادئ اللغة العربية على مجموعة من المعلمين من بينهم (أبو القاسم بن جزي)،كما أخذ النحو عن شيخ النحاة الإمام أبي عبد الله الفخار الألبيري[2]،وغيره من العلماء،والمربين،والفقهاء،وقد عرف ابن الخطيب منذ طفولته بطموحه،وقد

---

(2) خير الدين الزركلي:الأعلام،ج6،ص:235.

(2)الحسن بن محمد السائح:منوعات ابن الخطيب،ص:35.

أعانه على ذلك الطموح ذكاؤه الحاد،وفهمه الثاقب،ورؤيته البعيدة المدى،وقد كان انتقال أسرته من(لوشة)إلى(غرناطة)نقطة تحول،حيث عين والده عبد الله مقتصداً في بلاط ابن الأحمر الذي استعمله على مخازن الطعام،وقد أتاحت له الفرصة في غرناطة الدراسة على عدد من كبار العلماء المتميزين فأخذ عنهم الأدب كشيخ العدوتين الرئيس أبي الحسن بن الجياب،والفيلسوف أبي زكريا بن هذيل الذي اختص بصحبته،وفي هذه الفترة بدأ يظهر تفوقه،ونبوغه في الشعر،والترسل،والطب،والفلسفة،والتاريخ،وبعد سنوات قليلة لمع نجمه [1].

فقد تأثر مستقبل ابن الخطيب السياسي بحكم منصب والده،وحينما توفي والده دعي للحلول مكانه،وكان في الثامنة والعشرين من عمره،فتولى أمانة السر لأستاذه الرئيس الذي كان يشغل منصب الوزارة لدى السلطان (أبو الحجاج يوسف الأول النصري)،وقد استفاد ابن الخطيب استفادة كبيرة من أستاذه ابن الجياب في ديوان الإنشاء،وتأثر أيما تأثر به في أساليب النظم،والنثر،فملك زمام أرفع الأساليب النثرية والشعرية،وقد تجلت آثار

---

(3) عبد الهادي بوطالب:وزير غرناطة لسان الدين ابن الخطيب،ص:48،وما بعدها.

أستاذه في رسائله السلطانية [1]،التي كتبها على لسان ملوك الأندلس،والمغرب وقد وصفها العلاّمة ابن خلدون بالغرائب،نظراً لسحرها،وجمالها،وروعتها[2].

وبعد وفاة ابن الجياب في الطاعون الجارف الذي حل بالمدينة في شوال سنة: 749هـ(يناير سنة:1349م)،تولى لسان الدين رئاسة الكتاب[3]،وهناك خلاف في تاريخ توليه منصب الوزارة الأولى،وقد سعى الدكتور محمد الشريف قاهر إلى تصويب الأخطاء التي وقع فيها بعض الباحثين فقال: « تولى ابن الخطيب منصب الوزارة للمرة الأولى في أخريات شوال من عام: 749هـ لأمير المسلمين بالأندلس السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري،وكان يبلغ من العمر آنذاك خمسة وثلاثين عاماً تقريباً.وقد أخطأ جرجي زيدان حين جعل توليه الوزارة للمرة الأولى عام:733هـ،عقب اعتلاء أبي الحجاج لعرش غرناطة.فبالإضافة إلى تصريح المقري بتاريخ: 749هـ في نفح الطيب،فيزيد تأكيداً بأنه تولى الوزارة بعد شيخه أبي الحسن علي ابن الجياب الذي توفي عام: 749هـ بسبب مرض الطاعون الجارف الذي عم بلاد الأندلس والمغرب آنذاك ،وأودى بخيرة رجال العلم،والأدب،وبقي ابن الجياب وزيراً حتى وفاته،وكان ابن الخطيب مساعداً له،وأميناً لسره»[4].

وقد كسب ابن الخطيب ثقة السلطان،وصار من المقربين إليه،وفي هذه المرحلة تألق نجمه،و «عظمت منزلته،وأغدق السلطان عليه عطفه،وآثره بثقته،وجعله كاتب سره،ولسانه في المكاتبات السلطانية،وصدر منها

---

(1)ابن خلدون:كتاب العبر،ج7،ص:690.

(2) محمد الطيب محمد عبد النافع وإبراهيم عبد الرحيم يوسف:تاريخ الأدب والنصوص الأدبية،ص:459.

(3) دراسة وتحقيق ديوان الصيب،والجهام،والماضي،والكهام،ص:55 وما بعدها.

بقلم ابن الخطيب طائفة من أبدع الرسائل الملوكية...،وجمع الكثير منها فيما بعد في كتابه (ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب)،وكذلك نقل إلينا المقري في(نفح الطيب)مجموعة منها[1].

ويصف لنا ابن الخطيب في ترجمته في (الإحاطة)مركزه في الوزارة يومئذ،ومكانته،وما حباه به السلطان من الثقة،والإيثار في قوله (فقلدني السلطان سره،ولما يستكمل الشباب،ويجتمع السن،معززة بالقيادة،ورسوم الوزارة،واستعملني في السفارة إلى الملوك،واستنابني بدار ملكه،ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه،وائتمنني على صوان حضرته،وبيت ماله،وسجوف حرمه،ومعقل امتناعه)،ولما توفي السلطان يوسف أبو الحجاج قتيلاً في يوم عيد الفطر سنة: 755هـ(أكتوبر1354م)خلفه في الملك ولده السلطان أبو عبد الله محمد،الذي لقب فيما بعد بالغني بالله،واستمر الحاجب رضوان مضطلعاً برئاسة الوزارة،واستمر ابن الخطيب في منصبه معاوناً له،وندب للوصاية على الأمراء القصر أبناء السلطان المتوفي.وأرسله السلطان الجديد لأول ولايته سفيراً عنه إلى السلطان أبي عنان المريني عاهل المغرب على رأس وفد من رجالات الأندلس،وهو يعرب في رسالته إليه عن أمله في تجديد أواصر المحبة،والوصل التي كانت بين أبيه،وبين السلطان أبي عنان،ويستنصره،ويطلب عونه على مقاومة ملك قشتالة»[2].

ولقد استقبل ابن الخطيب استقبالاً مميزاً،وحظي برعاية كريمة،وتقدير عميق من قبل السلطان أبي عنان،وكان استقباله في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة:755هـ[3].

ويفصل الدكتور محمد الشريف قاهر رحلة ابن الخطيب إلى المغرب فيذكر أن في أواخر عام: 755هـ«على إثر مقتل السلطان أبي الحجاج أمير المسلمين بغرناطة بعث السلطان الجديد (محمد الغني بالله)وفداً إلى المغرب لطلب النجدة،والغوث،وتجديد عهد الصداقة،والتعاون بين العدوتين،الأندلس والمغرب،على نحو ما جرت عيه العادة منذ قديم الزمان،وكانت رئاسة الوفد لوزيره ابن الخطيب الذي وفق توفيقاً كاملاً في أداء مهمته،وقد أنشد أبا عنان قصيدة رائعة مطلعها:

خَلِيفَةَ اللهِ سَاعَدَ القَدَرُ عُلاَكَ مَا لاَحَ فِي الدُّجَى قَمَرُ

فتأثر السلطان المريني أبو عنان،والحاضرون في الحفل بالقصيدة أيما تأثر،وقال السلطان لابن الخطيب:اجلس،والله ما ترجع إليهم إلا بكل طلباتهم،وقديماً قيل:إن من البيان لسحرا،وإن من الشعر لحكمة.وعاد

---

(1) ينظر:المقري التلمساني:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج6،ص:13-162.

(2)عبد الله عنان:المصدر السابق،مج1،ص:22 وما بعدها.

(3) محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي:الأدب المغربي،ص:232.

الوفد إلى غرناطة محملاً بالهدايا الثمينة،والوعود الصادقة الخالصة بفضل سياسة رئيس الوفد،ولباقته،وجميل إشارته،وفصيح لسانه،وفي هذه السفارة توطدت العلاقة بين ابن الخطيب،وبين المغرب،حكومة وشعباً،وعلماء،وأدباء،فبقي قلبه معلقاً بالمغرب »[1].

وفي عام:760هـ تبدأ مرحلة جديدة من حياة ابن الخطيب،ففي هذه السنة اندلعت الثورة بغرناطة في شهر رمضان،وقد أدت هذه الثورة إلى فقدان السلطان الغني بالله الملك،وتولى الملك مكانه شقيقه الأمير إسماعيل،وقد قتل أثناء هذه الثورة الحاجب(أبو النعيم رضوان)،وفر الغني بالله إلى وادي آش[2].

وفيما يتعلق بتفاصيل تلك الثورة فسببها [3]. أن الأمير إسماعيل «كان معتقلاً في بعض أبراج قلعة الحمراء،وكانت تؤازره جماعة من الزعماء الناقمين على الغني بالله،وفي مقدمتهم صهره الرئيس عبد الله،وتعمل سراً لإسقاط الغني بالله،وإجلاسه في الملك مكانه،وكانت أمه المقيمة بالقصر،تؤيد مشاريعه بالسعي،والبذل الوفير،وكان السلطان قد تحول بولده إلى سكنى قصر (جنة العريف)الواقع شمال شرقي قصر الحمراء،فانتهز المتآمرون ذات مساء فرصة ابتعاده عن دار الملك وهاجموا قلعة الحمراء (28رمضانسنة:760هـ)،ونفذوا إلى دار الحاجب رضوان،وقتلوه بين أهله،وولده،ونادوا بإسماعيل أخي السلطان ملكاً مكانه.وشعر محمد الغني بالله بعبث المقاومة ففر إلى وادي آش»[4].

أمام هذه التغيرات التي طرأت أضحى ابن الخطيب في وضعية جد حرجة،فالملك الذي كانت تربطه به علاقة وطيدة أزيح عن الحكم،ولم يجد من طريقة للحفاظ على منصبه سوى مصانعة الملك الجديد،وسعى إلى استمالته،فمنحه منصب الوزارة مؤقتاً [5]،وبعد تحريض مجموعة من حساد ابن الخطيب،ومنافسيه،شكك في نواياه،وقرر القبض عليه،وتمت مصادرة جميع أملاكه،ومتاعه،وبين عشية،وضحاها،فقد ابن الخطيب ثروته العريضة[6].

---

(1) دراسة وتحقيق ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام،ص: 57وما بعدها.

(2)خير الدين الزركلي:المرجع السابق،ج6،ص:235.

(1) ينظر:ابن الخطيب:اللمحة البدرية في الدولة النصرية،القسم الخامس الخاص بنسق الدول،واتصال الأواخر منها بالأول،ص: 42 وما بعدها.

(2)عبد الله عنان:المصدر السابق،مج1،ص:24.

(3) محمد رضوان الداية:نثير فرائد الجمان لابن الأحمر،ودراسة في حياته،وأدبه،ص:23.

(4) عمر فروخ:المرجع السابق،ج6،ص:505.

وقد قص علينا تفاصيل هذه المحنة في كتاب (الإحاطة)بقوله:« وتُقبض علي،ونكث ما أبرم من أماني،واعتقلت بحال ترفيه،وبعد أن كبست المنازل،والدور،واستكثر من الحرس وختم على الأعلاق،وأبرد إلى ما نأى،فاستؤصلت نعمة لم تكن بالأندلس من ذوات النظائر،ولا ربات الأمثال،في تبحر الغلة،وفراهة الحيوان،وغبطة العقار،ونظافة الآلات،ورفعة الثياب،واستجادة العدة،ووفور الكتب،إلى الآنية والفرش والماعون،والزجاج والطيب،والذخيرة،والمضارب والأقمشة،واكتسحت السائمة،وثيران الحرث،وظهر الحمولة،وقوام الفلاحة،وأذواد الخيل،فأخذ الجميع البيع،وتناهبتها الأسواق،وصاحبها البخس،ورزأتها الخونة،وشمل الخاصة،والأقارب الطلب،واستخلصت القرى،والجنات،وأعملت الحيل،ودست الإخافة،وطوقت الذنوب،وأمد الله بالصبر،وأنزل السكينة،وانصرف اللسان إلى ذكر الله تعالى،وتعلقت الآمال به،وطبقت نكبة مُصحفية مطلوبها الذات،وسبب إفاتتها المال،حسبما قلت،عند إقالة العثرة،والخلاص من الهفوة»[1].

بيد أن نكبة ابن الخطيب لم تطل،فقد أرسل ملك المغرب السلطان أبو سالم سفيره (الشريف أبا القاسم التلمساني)إلى ملك غرناطة الجديد،وطلب منه السماح للملك المخلوع (الغني بالله)ووزيره ابن الخطيب بمغادرة الأندلس،والمجيء إلى المغرب،فاستجاب سلطان غرناطة لطلبه،وذلك رغبة منه في الإبقاء على أواصر الود مع بني مرين،والحفاظ على صداقتهم،للاستعانة بهم لضمان مستقبل الدولة الإسلامية التي كانت تتعرض بين الفينة،والأخرى لهجمات النصارى[2]،فتم إطلاق سراح ابن الخطيب مع نفر كبير من الحاشية،والتحقوا بالسلطان الذي كان بوادي آش،ومن ثم وصلوا إلى المغرب الأقصى،وحلوا بمدينة فاس في محرم:761هـ(ديسمبر1358م)،وقد استقبلهما السلطان أبو سالم استقبالاً حاراً،وأقام على شرفهم حفلاً عظيماً،وبهذه المناسبة ألقى ابن الخطيب قصيدة أصبحت من أروع قصائده،دعاه فيها إلى نصرة سلطانه[3]،يقول في مطلعها:

سَلاَ هَلْ لَدَيْهَا مِن مُخَبرَةٍ ذِكْرُ وهَلْ أَعْشَبَ الوَادِي ونَمَّ بِهِ الزَّهْرُ

وقد شهد ابن خلدون ذلك الحفل بصفته من كبار رجال البلاط المريني،وتحدث عن ابن الخطيب فقال: « إن ابن الخطيب استولى على سامعيه،فأبكاهم تأثراً،وأسفاً».

ووصف ابن الخطيب ذلك الحفل بأن القوم كانوا يرتجفون تأثراً،وتسيل منهم العبرات.

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،مج1،ص:24 وما بعدها.

(2) عمر فروخ:المرجع السابق،ج6،ص:505.

(1) إحسان عباس:الكتبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب،المقدمة،ص8 وما بعدها.

(2) ينظر :محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي:المرجع السابق،بحث خاص عن ابن الخطيب في المغرب،ص:232-248.

وقد طاب العيش لابن الخطيب بالمغرب الأقصى،وحظي بعناية فائقة من قبل السلطان أبي سالم،وفي هذه الفترة توثقت الصداقة بينه،وبين ابن خلدون «وقد كان كل منهما يسمع عن صاحبه،ويتوق إلى لقائه،حتى جمعت بينهما الحوادث،فقد كان كلاهما أستاذ عصره،وقطره في التفكير،والكتابة،وكان كلاهما وزيراً مستبداً،ومستشاراً لأمراء عصره.

والواقع أن ابن الخطيب قد وجد الحفاوة،والاحترام أينما حل بالمغرب من السلطان ووزرائه،ومن الشعب،وشخصياته،فأنزله السلطان أبو سالم في قصر من قصوره محفوفاً بالعناية،والتعظيم،ثم طلب ابن الخطيب الإذن من أبي سالم في الاستقرار بمدينة (سلا)ليخلو إلى العبادة،والتأليف،وملاقاة العلماء،والصالحين،والزهاد،فأسعف قصده،ولبى طلبه،وقصد ابن الخطيب مع أهله (سلا)،واستقر بها مدة،ثم استأذن السلطان المريني أبا سالم في التجول في جهات مراكش،وزيارة معالمها الأثرية،والتبرك بقبور الصالحين بها،فأذن له بذلك،وكتب إلى ولاته باستقباله،وإكرامه،وتحقيق رغائبه [1]،وكان من نتائج هذه الرحلة الشائقة أن أخرج لنا ابن الخطيب كتابه (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب)واصفاً فيه هذه الرحلة أجمل وصف،وأدقه،فقد ذكر فيه من لقيه من العلماء،والأدباء،والولاة،والكبراء،والشخصيات مع وصف الإقليم جغرافياً،واقتصادياً وكرم سكانه،وعاداتهم»[2].

وفي هذه الفترة توفيت زوجة ابن الخطيب في السادس من ذي القعدة من عام: 762هـ،حينما كان مقيماً بمدينة(سلا)،وقد تألم ألماً شديداً لوفاتها [3]،وقال عن هذا الرزء الفادح الذي حل به،وهو في المنفى: « وفي السادس لذي القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة طرقني ما كدر شربي،ونغص عيشي من وفاة أم الولد عن أصاغر زغب الحواصل بين ذكران،وإناث في بلد الغربة،وتحت سرادق الحشمة،ودون أذيال النكبة،فجلت عليها حسرتي،واشتد جزعي،وأشفيت لعظم حزني،إذ كانت واحدة نساء زمانها جزالة،وصبراً،ومكارم أخلاق،حازت بذلك مزية الشهرة،حيث حلت من القطرين،فدفنتها بالبستان المتصل بالدار بمدينة (سلا)،ووقفت على قبرها الحبس المغل لمتولي القراءة دائماً عليها،وصدر عني مما كتبت على ضريحها،وقد أغرى به التنويه والاحتفال:

رَوْعَ بَالِي وَهَاجَ بِلْبَالِي وَسَامَنِي الثَّكَلُ بَعدَ إِقْبَالِ

ذَخِيرَتِي حِينِ خَانَنِي زَمَنِي وَعُدَتِي فِي اشتِدَادِ أهوَالِ

أَمَا وقَد غَابَ فِي تُرَابِ سَلا وجهُكِ عَنِي فسَلتُ بالسالِي

---

(2) محمد الشريف قاهر: المرجع السابق،ص: 60 وما بعدها.

(3) عبد المجيد التركي: مقدمة كتاب مثلى الطريقة في ذم الوثيقة للسان الدين بن الخطيب،ص: 14.

(3) ابن الخطيب:نفاضة الجراب في علالة الاغتراب،تحقيق:د.أحمد مختار العبادي،ج:02،ص: 205.

فانَتظِرِينِي فَالشوقُ يُقَلِقُنِي ويَقتَضِي سُرعَتِي وإِعجَالِي»[1].

وعلى الرغم من المحن التي تعرض لها ابن الخطيب في هذه الفترة،فإنه لم يتوقف عن الإنتاج،والتأليف،ومن أهم المؤلفات التي كتبها في تلك الفترة:

1-معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار.

2-نفاضة الجراب في علالة الاغتراب.

3-اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية.

4-الحلل المرقوقة في اللمع المنظومة.

5-رقم الحلل في نظم الدول.

6-كناسة الدكان بعد انتقال السكان.

7-رسائل في فنون مختلفة،معظمها نظمه شعراً.

وفي هذه الأثناء وقعت ثورة في فاس فقد فيه السلطان أبو سالم عرشه في التاسع عشر من ذي القعدة762هـ(1361م) [2]،واستولى على الحكم مدبر الانقلاب الوزير عمر بن عبد الله حيث أعان ابن الأحمر المخلوع على أمره،وساعده في استرجاع عرشه حينما اندلعت ثورة جديدة في غرناطة صرع فيها السلطان إسماعيل ابن الأحمر على يد الرئيس أبي سعيد،وقد ساعده الوزير عمر بن عبد الله بمنحه مدينة (رندة) التي كانت تابعة لأملاك بني مرين ،واتخذها مركزاً له لتدبير خططه،وبعد فترة غزا ثغر (مالقة)،واستولى على غرناطة،وتربع على العرش من جديد في جمادى الآخرة عام:763هـ(1361م) [3].

وبعد فترة قليلة كتب رسالة إلى الوزير المنفي لسان الدين بن الخطيب بتاريخ: 14جمادى الآخرة يدعوه فيها إلى تقلد منصبه السابق،وقد أثنى فيها عليه أيما ثناء ،ومما جاء فيها قوله: « الفقيه الوزير الجليل الصدر الأوحد،المشير،العالم العلم الكبير الرفيع الشهير...إمام البلغاء،وصدر الخطباء،وعلم العلماء،وكبير الرؤساء...»،فاستجاب ابن الخطيب،وعاد رفقة أسرته،وصحبه،ففي الثامن من شهر رمضان أصدر السلطان قراراً بإعادته إلى منصبه،وفي هذه المرحلة تغيرت الأوضاع،ووجد من يدبر له المكائد،ويزاحمه منصبه،وينافسه على السلطة وهو شيخ الغزاة (عثمان بن أبي يحيى)الذي كان له الفضل الكبير في استرجاع السلطان للعرش،وقد نشب بينهما خلاف،وتمكن ابن الخطيب من التغلب عليه،وأخاف الملك من غدره،ومكائد أشياعه،فاستجاب السلطان لنصائحه،وقضى عليه في شهر رمضان:764هـ(1363م).

---

(2) محمد الشريف قاهر: المرجع السابق،ص: 60 وما بعدها.

(2)حمدان حجاجي: حياة وآثار ابن زمرك،شاعر الحمراء،ص: 10.

وما كاد ابن الخطيب يتخلص من مكائد عثمان،حتى شعر بما يحيط به من دسائس،ومكائد،وفي هذه المرة أحس أن السلطان يستجيب لخصومه[1]،وقد تزعم الحملة ضده هذه المرة كل من:

الشاعر محمد بن يوسف المعروف ب(ابن زمرك)،وهو تلميذ ابن الخطيب،ومعاونه في الوزارة.

و قاضي الجماعة أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي،ولي نعمة ابن الخطيب.

وبعد أن خشي ابن الخطيب من دسائس الرجلين قرر مغادرة الأندلس نهائياً،فوصل إلى سبتة،والتحق بتلمسان،واستقبله فيها السلطان عبد العزيز بحفاوة كبيرة،وأكرمه،كما راسل سفراءه للحديث مع السلطان حتى يسمح إجازة أسرة ابن الخطيب،فاستجاب ابن الأحمر لطلبه سنة:773هـ(1371م) [2].

على الرغم من ابتعاد ابن الخطيب عن غرناطة،إلا أن حقد أعدائه لم يتوقف،وظلوا متخوفين من عودته،فأخذوا يسعون إلى الإطاحة به [3]،والتخلص منه بصفة نهائية،فأخذوا يراجعون ما كتبه أيام شبابه،وكهولته،ولاسيما في كتابه «روضة التعريف في الحب الشريف »،فاتهموه بالزندقة،والخروج عن شريعة الإسلام،وذهبوا إلى أن فيها طعناً في النبي،ومجاراة لمذهب الفلاسفة الملحدين،وروجوا في أوساط العلماء أن كتبه التاريخية الكثير منها هو من قبيل(الغيبة المحرمة).و كان زعيم،ومُروِّج هذه الدعاية تلميذه ابن زمرك الذي خلفه في الوزارة،وتولى تلفيق الاتهام،وصياغته القاضي أبو الحسن النباهي،وأصدر فتوى بضرورة إحراق كتب

---

(1) محمد رضوان الداية: الأدب الأندلسي والمغربي–أبحاث في الأدب الأندلسي والمغربي–ص: 257.

(2)محمد كمال شبانة:مقدمة كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار للسان الدين بن الخطيب،ص:17 وما بعدها.

(3)جرجي زيدان:تاريخ آداب اللغة العربية،مج2،ص:225.

ابن الخطيب،وتم إحراقها في منتصف سنة: 773هـ،وذلك بمحضر الفقهاء،والمدرسين من العلماء،و أماثيل الفقهاء[1].

وما تجدر الإشارة إليه أن القاضي النباهي كان من أنصار ابن الخطيب،ومن أشد المدافعين عنه،والمحبين له،وتعيينه قاضياً للجماعة تم على يدي ابن الخطيب،وفي كتاب (الإحاطة)نلفي ترجمة متميزة له وضعها ابن الخطيب،ووصفه فيها بأحسن الأوصاف،وبعد أن خبا نجم ابن الخطيب وقف النباهي إلى جانب ابن زمرك،وصار من أشد خصومه[2].

وقد وجه النباهي رسالة إلى ابن الخطيب ملأها بمثالبه،واتهمه بالإلحاد،والزندقة،كما عهد إلى قضاة غرناطة يطالبهم باستصدار حكم الإعدام فيه،وحصل على موافقة السلطان،وبعث القاضي أبو الحسن نوابه إلى السلطان عبد العزيز لمطالبته بتنفيذ الحكم في لسان الدين،غير أن السلطان رفض ذلك [3]،وخاطبهم قائلاً: « هلا أنفذنم فيه حكم الشرع وهو عندكم،وأنتم عالمون بما كان عليه ».كما بالغ السلطان عبد العزيز في العناية بابن الخطيب وإكرامه، ومما يُذكر أن ابن الخطيب قد طالب السلطان عبد العزيز بضم غرناطة إلى مملكته بعد أن لاحظ قوة المغرب،وبعد مدة قصيرة يموت السلطان عبد العزيز،ويجلس على عرش المغرب ابنه (أبو زيان محمد السعيد)،وهو ما يزال طفلاً،وفي ربيع الآخر 774هـ(1372م) يستولى على السلطة الوزير (أبو بكر بن

---

(1)محمد عبد الله عنان:مقدمة كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة،ص:36.

(2) ينظر:ابن خلدون:كتاب العبر،مج7،الخبر عن مقتل ابن الخطيب،ص:404 وما بعدها.

(3)ينظر:المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،مج2،مخاطبات ابن زمرك للسان الدين،ص:75 وما بعدها.

غازي)،وفي هذه الفترة حاول السلطان ابن الأحمر الإيقاع بابن الخطيب،وطلب من ابن غازي أن يبعث به إليه،ولكنه رفض،فتوترت العلاقة بين النظام القائم في فاس،وغرناطة.[1]

وبعد أن كثرت الأقاويل في الوزير ابن غازي بسبب مبايعته لصبي صغير،ألف ابن الخطيب كتاباً له وسمه ب«أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام».

بعد أن ساءت العلاقة بين فاس وغرناطة بذل ابن الأحمر جهوداً كبيرة لإسقاط نظام ابن غازي فأوغر صدور الأمراء المرينيين،وحرضهم على الثورة،كما سعى إلى إقناع حكام الأقاليم،ولاسيما منهم حاكم سبتة بأنه من الأحسن أن يكون الملك رجلاً عاقلاً راشداً،لا طفلاً صغيراً،وتم الاتفاق على تنصيب الأمير المريني (أبو العباس أحمد بن أبي سالم)ملكاً على المغرب،وأن يكون محمد بن عثمان الوزير مستقبلاً [2]، و قدم له مساعدات ضخمة للإطاحة بالحكم،شريطة تحقيق ثلاثة مطالب رئيسة بعد نجاح العملية:

1-تسليم ابن الخطيب.

2-تسليم الأمراء المناهضين لابن الأحمر.

3-تسليم جبل طارق.

بعد أن وقعت بعض الحوادث بالمغرب الأقصى،اندلعت الثورة،وحدث الانقلاب الذي طالما سعى ابن الأحمر من أجل إحداثه،وتم تعيين الأمير(أحمد بن السلطان أبي سالم)والياً على المغرب سنة:776هـ(1374م).

ولم تمض سوى بضعة أيام حتى أمر بالقبض على ابن الخطيب،وسجنه،وذلك تنفيذاً لما تم الاتفاق عليه،ووصل الوزير ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب إلى فاس يترأس وفداً يحمل عريضة الاتهام،وقد كان الوزير الجديد ببلاط فاس سليمان بن داود، وهو واحد من ألد خصوم ابن الخطيب،وتم إحضاره إلى المشور،ومناقشته

---

(1) محمد كمال شبانة:المرجع السابق،ص:20 وما بعدها.

(2) عبد المجيد التركي:المرجع السابق ،ص:13.

حول ما نسب إليه من الإدعاءات حول ما ورد في بعض كتبه،وقد أفتى بعض الفقهاء بقتله،وفي الليل دس سليمان بن داود بعض المرتزقة،والأوغاد من حاشيته فدخلوا عليه السجن وقتلوه خنقاً،ودفن بمقبرة (باب المحروق)،وفي الصباح ثم سحب جثثته من جديد،وإحراقها [1] ،ولذلك لقب ابن الخطيب بذي الميتتين،كما لقب بذي الوزارتين،أي السيف والقلم،ويقال له ذو العمرين،لاشتغاله بالتأليف،والكتابة والتصنيف في الليل،وتدبير شؤون الوزارة والمملكة في النهار[2]،وقد كان مقتله في أواخر عام:776هـ(1375م) [3].

وبخصوص العلاقة بين لسان الدين ابن الخطيب،وأدباء عصره،فيمكن أن نمثل لهذه العلاقة بشخصية الأديب الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد ابن الأحمر، فقد فصلها الباحث محمد رضوان الداية تفصيلاً دقيقاً،وقدم متابعة تاريخية لها،ولذلك سنستند إلى رؤيته المقدمة عن هذه العلاقة،فهو يرى في البدء أن العلاقة بين لسان الدين ابن الخطيب،وابن الأحمر غامضة لسببين اثنين:

«الأول:أن ما ذكره ابن الأحمر عن تلك العلاقة كان تلميحاً دون الإيضاح،والثاني إعراض لسان الدين عن ذكر إسماعيل بن الأحمر باسمه في أي موضع مما نعرف من مصنفاته،فمنهجه في اللمحة البدرية،والكتيبة الكامنة،وحتى الإحاطة يقتضي أن يذكر إسماعيل هذا فيها،أو في بعضها باعتباره من الأسرة النصرية،أو ممن عنوا بالفقه،والأدب،والثقافة.وما كان حظ إسماعيل هذا من لسان الدين إلا إشارة عابرة فيها من التنكير أكثر مما فيها من التعريف حين قال: (وليوسف هذا ابن يباشر خدمة السلطان).

ولا نعلم شيئاً عن علاقتهما في الأندلس،وعلى كل حال فإن ابن الأحمر غادر الأندلس قبل أن يحتل لسان الدين مكان أستاذه ابن الجياب بعد أن توفي في الطاعون الجارف سنة 749هـ.

أما في المغرب،فقد تردد لسان الدين على فاس مرات،منها سفرة سنة: 755هـ،قدم فيها من الغني بالله إلى أبي عنان،ومنها إقمته في فاس،وغيرها من المدن المغربية،وقت لجوئه مع مخدومه النصري سنة:761هـ،وآخرها حين لجأ لسان الديني إلى البلاط المريني سنة: 773هـ.وكان دأب ابن الأحمر أن يتصل بالقادمين من وطنه،يتسقط أخباره،ويفيد علماً،وأدباً.ومن ذلك ما رواه في نثير الجمان،من أنه لقي أبا البركات البلفيقي(محمد بن محمد السلمي)لما قدم رسولاً من الغني بالله إلى السلطان المريني أبي سالم إبراهيم،ولقي أيضاً لسان الدين،وقد ترجم ابن الأحمر لابن الخطيب مرتين:في نثير الجمان،وفي نثير فرائد الجمان،وذكر نتفاً من أخباره متفرقات خلال الكتابين.ومما يؤسف له حقاً أن ترجمة لسان الدين مفقودة من كتاب نثير

---

(1) ابن الخطيب: ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام ،ص:85.

(2) خير الدين الزركلي: المرجع السابق،مج6، ،ص:235.

(3) ينظر: بطرس البستاني:أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث،ص:35 و159.

الجمان،وهي كما أظن أهم من ترجمته في نثير فرائد الجمان لأنها كتبت في وقت قريب من مصرع ابن الخطيب»[1].

وقد مرت العلاقة بين ابن الخطيب،وابن الأحمر بفترتين:

الأولى:شملت المدة التي سبق لجوء ابن الخطيب إلى بني مرين،وهي مرحلة يصفها محمد رضوان الداية بالعادية«لا يشوبها شيء يعكر صفوها،بل ربما كانت بينهما صداقة،أو علاقة شيخ بمستفيد،فقد سماه في ترجمته لمحمد بن محمد العريف الغرناطي (شيخنا ذو الوزارتين ابن الخطيب...)،وقال في موضع آخر (وأنشدني في الحنين إلى الأوطان ذو الوزارتين الحاجب القائد الخطيب الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبو عبد الله محمد بن الفقيه الخطيب الكاتب أبي محمد عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني الأندلسي بفاس بتشوق معاهده بالأندلس لما كان بالعدوة،حين خلع عن ملكه مخدومه ابن عمنا السلطان الغني بالله محمد:

أُحِبُك يا مَغنَى الحُقُوق بواجِبِ وأقْطَعُ في أَوصَافِك الغُرِ أَوقَاتِي

تَقسَّم منك التُربُ أَهلِي وَجِيرَتِي فَفِي الظُهَرِ أَحَيَائِي وفي البَطَنِ أَمواتِي

وقال في مقدمة ترجمته(أدركته وخاطبته وخاطبني...)،وهذه الأخبار كافية للدلالة على تلك العلاقة.

والثانية:تشمل مدة لجوء ابن الخطيب إلى بني مرين،أو معظمها،إذا سلمنا بما قاله ابن الأحمر من أنهما تصافيا بعد خصام.وقال ابن الأحمر في ترجمة لسان الدين في نثير فرائد الجمان بعد أن عظّمه،ومدحه:(لكن صل لسانه في الهجاء لسع،ونجاد نطاقه في ذلك اتسع،حتى صدمني،وعلى القول فيه أقدمني،بسبب هجوه في ابن عمي ملك الصقع الأندلسي،سلطان ذلك الوطن في النفر الجني،والإنسي.ثم صفحتُ عنه صفحة القادر الوارد من مياه الظفر غير الصادر،لأن مثلي لا يليق به إظهار العورات،ولا يحمد له تتبع العثرات،اتباعاً للشرع الكريم في تحريم الغيبة...).

وفيما عدا هذه الثغرة التي يقول ابن الأحمر إنه رأبها،وفحوى كلامه تدل-بالطبع-على أن ذلك تم في حياة لسان الدين،لأنه لا معنى للصفح عمن صار في الأموات دون الأحياء،فإن مطالع كتب ابن الأحمر،والنقول التي نقلت عنه يشعر بأن إسماعيل بن الأحمر لا يذكر لسان الدين إلا بالإجلال،والإكبار حتى أنه لقبه ب(شيخنا).وقد خصص نحواً من ربع كتابه (نثير فرائد الجمان)لشعر ابن الخطيب،ونثره،وذكر كتبه،وأخباره.ولكننا مع كل هذا لا ندري ما هو السر الذي جعل لسان الدين يُعرض عن ذكر ابن الأحمر،وحدا به لأن يهمله هذا الإهمال المزري مع احتفاله بمن هم دونه»[2].

---

(1)محمد رضوان الداية: دراسة وتحقيق: نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان،ص:78 وما بعدها.

(2)محمد رضوان الداية: المرجع السابق،ص:80 وما بعدها.

ثانياً:آثاره:

ابن الخطيب عبقري خالد ،وشخصية موسوعية متعددة المواهب،ترك تراثاً حافلاً،ومتنوعاً في شتى الفنون،والآداب ما بين التاريخ،والأدب،والسياسة،والطب،والشعر،وغيرها،ومؤلفاته تزيد عن ستين مؤلفاً كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين ومن بينهم محمد عبد الله عنان،والبعض الآخر يرى أنها تربو على الخمسين كما يرى الباحث محمد كمال شبانة.

وقد وصل إلينا هذا التراث في أغلبه «ولاسيما المجموعة التاريخية والأدبية التي هي في الواقع لب تراث ابن الخطيب،والتي تلقي أعظم ضوء على تاريخ الأندلس،والمغرب في أواسط القرن الثامن الهجري،والظاهر أن مؤلفات ابن الخطيب التي لم تصل إلينا قد هلك معظمها في محنة إحراق كتبه التي وقعت في غرناطة سنة:773هـ،وهي من كتب الطب،والتصوف،والموسيقى،وأن معظم كتبه التي نجت من تلك المحنة قد وصل إلينا عن طريق المغرب.والواقع أن ابن الخطيب قد وضع كثيراً من كتبه أثناء إقامته منفياً بالمغرب،خلال فترتين أولاهما ما بين سنتي: 761هـ،وأواسط سنة: 763هـ،والثانية منذ أوائل سنة: 773هـ،حتى مصرعه في أوائل سنة:776هـ»[1].

من خلال الترجمة التي كتبها ابن الخطيب عن نفسه في آخر كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة » أورد لنا أسماء مؤلفاته،ويبدو أن المحن،والتقلبات التي تعرض لها ابن الخطيب في حياته جعلت الكثير من المؤرخين،والمستشرقين لا يفرقون بين ما ألفه الرجل في المغرب،وبين ما ألفه في الأندلس،ويذهب (ليفي بروفنسال)إلى أن مؤلفات لسان الدين قد بلغت حوالي ستين كتاباً،ولكن لم يبق منها إلا الثلث تقريباً،ولا ريب في أن كتب ابن الخطيب سواءً المخطوطة التي لم تحقق بعد،أو حققت ونشرت لهي موضع تقدير من لدن مختلف الباحثين،والدارسين،وتحتل مركزاً ممتازاً بين المصادر التاريخية المعتمدة، ولاسيما منها ما يتطرق للغرب الإسلامي في المغرب،والأندلس،وستظل تنير سبل العلماء،والمؤرخين،وهي ما تزال تحظى بالتقدير منذ عصره،إلى أيامنا هذه ليس عند العرب فحسب،بل عند غيرهم من الأمم[2].

---

(1) محمد عبد الله عنان،مقدمة كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة،مج:1،ص:53.

(2) محمد كمال شبانة،مقدمة كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار،ص:29 وما بعدها.

وفيما يلي نعرض أهم مؤلفاته،ونقدم لمحات موجزة عن بعضها،وذكر البعض الآخر،لأن بعضها مفقود،والبعض الآخر مخطوط،والبعض منسوب خطأً.

1-التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى(تراجم وتاريخ):

يحتوي هذا الكتاب على لمحات مختصرة عن تاريخ مملكة غرناطة،وذلك منذ نشأتها على أيدي بني نصر،كما أن فيه تراجم لأعيان الأندلس في القرن الثامن الهجري،وفيه ترجم ابن الخطيب لوالده،ولنفسه،كما نوه بمملكة بني الأحمر منذ نشأتها حتى عصر المؤلف[1].

2-روضة التعريف بالحب الشريف:

وهو كتاب وضعه في التصوف،وقد كان هذا الكتاب من بين الكتب التي جلبت الكثير من الأذى لابن الخطيب،إذ« يعزو المؤرخون إلى هذا الكتاب أنه كان وثيقة الاتهام بالإلحاد،والزندقة ضد ابن الخطيب،حينما أملت الأهواء على من صاغوا صك الاتهام للرجل،حتى سيق إلى الموت من أجله،وتوجد من الكتاب نسخة مخطوطة بالرباط بيد أنها ناقصة،ومشوهة»[2].

وقد عارض ابن الخطيب بهذا الكتاب الذي يوصف بأنه (غريب المنزع)ديوان(الصبابة)لابن أبي حجلة التلمساني،وتكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة، وقد جعله «شجرة ذات أفنان وعمود،مشتمل على القشر والعود،وأوراق وصورة طائر فوقها،ووجد هذا الكتاب صدى عند معاصريه،وأورد لنا ابن الخطيب نفسه إشارة إلى هذا الإعجاب في الرسالة التي وجهها إلى ابن خلدون في حقه يقول: (فجاء كتاباً ادعى الأصحاب غرابته).وتوجد منه عدة نسخ بالخزانة العامة بالرباط،وبالخزانة الملكية،وبخزانة القرويين بفاس...،وقد نشر الكتاب-محققاً-الأستاذ عبد القادر أحمد عطا عام: 1387هـ-1968م،طبعة دار الفكر العربي بالقاهرة،ثم نشره الأستاذ محمد الكتاني،الأستاذ المحاضر بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط على نحو أكثر دقة،وبمنهج علمي أكثر ضبطاً،ونشره في مجلدين عام:1970م،وألحق به فهارس مختلفة،ومفيدة»[3].

3-بستان الدول(تاريخ سياسي):

---

(2) محمد عبد الله عنان :المصدر السابق،ص:36.

(3) المصدر السابق،ص:37.

(1) محمد الشريف قاهر:المرجع السابق،ص:98.

(2) المرجع السابق،ص:36.

(3) الرحلة لابن خلدون،ص:129.

يبدو أن هذا الكتاب هو واحد من الكتب التي لم يكملها ابن الخطيب،ويصفه محمد كمال شبانة بأنه «كتاب سياسي شامل،تحدث فيه المؤلف عن القضاء،والحرب،والصناعة،وأهلها،وطبقات الشعب،وأفرد لكل شجرة،بحيث ألف من المجموع هذا البستان »[1]،ويذكر ابن خلدون بأنه من التواليف الصادرة قديماً،وقد أذهبت الحادثة عينه،وشعثت الكائنة زينه،وهو موضوع غريب ما سمع بمثله،وقد اشتمل على شجرات عشر،أولها شجرة السلطان،ثم شجرة الوزارة،ثم شجرة الكتاب،ثم شجرة القضاة والصلاة،ثم شجرة الشرطة والحبسة،ثم شجرة العمل،ثم شجرة الجهاد،وهي فرعان:أسطول،وخيول[2].

4-كناسة الدكان بعد انتقال السكان(وثائق تاريخية):

ألف ابن الخطيب هذا الكتاب إبان إقامته الأولى بسلا،ويحوي مجموعة من الرسائل السلطانية،التي دبجها ابن الخطيب وهو في بداية تجربته الوزارية،وهي رسائل مكتوبة على لسان السلطان أبي الحجاج يوسف إلى أبي عنان فارس المريني،ملك المغرب،في أغراض مختلفة سياسية،وعسكرية، باستثناء وثيقة عقد زواج نصري صدر بها الكتاب.

ويذكر محمد الشريف قاهر أنه عبارة عن خمس،وعشرين وثيقة سياسية تحدد العلاقة السياسية بين مملكتي غرناطة،وفاس،وقد نشر هذا الكتاب محققاً الدكتور محمد كمال شبانة،وطبع بدار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة[3].

5-اللمحة البدرية في الدولة النصرية:

هذا الكتاب عبارة عن مختصر لتاريخ بني الأحمر ملوك غرناطة،وقد نشرت الطبعة الأولى منه في القاهرة عام:1347هـ[4]،ويعود الفضل في نشره إلى الأستاذ محب الدين الخطيب [5]،وقد وصف هذا الكتاب في تقديمه له بقوله: « هذا كتاب في تاريخ بني الأحمر آخر دول العرب في الأندلس،ألفه عام: 763هـ وزيرهم

---

(1) المرجع السابق ص:114.

(2)خير الدين الزركلي:المرجع السابق،ص:235.

(3) اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ،ص:12.

(4) المصدر نفسه، ،ص:13.

الأديب الأشهر لسان الدين بن الخطيب،وهو من أجود ما كتبه المسلمون في التاريخ:لتوخي مؤلفه الصدق فيما روى،وبعد نظره في درك الحقائق،ولطف إشارته إلى ما يحسن بمثله ألا يُسرف في التصريح به»[1].

وقد قسمه إلى خمسة أقسام رئيسة:

القسم الأول في ذكر المدينة التي اقتعد هذا الملك سريرها،وأحكم تدبيرها.

القسم الثاني فيما يرجع إليها من الأقاليم،والأقطار على الإيجاز والاختصار.

القسم الثالث فيمن دال بها من أمير،وسلطان شهير.

القسم الرابع في عوائد أهلها، وأوصافهم،على تباين أصنافهم.

القسم الخامس في نسق الدول،واتصال الأواخر منها بالأول،وما يخص كل دولة من الألقاب،والأذيال المستطرفة والأعقاب.

وقد انتهى ابن الخطيب من تأليفه سنة: 765هـ،وذلك وفق ما ذكره في خاتمته،وكان قد بدأه بمدينة سلا،وانتهى منه في غرناطة.

6-رقم الحلل في نظم الدول:

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من القصائد نظمها ابن الخطيب،وشرحها نثراً تتضمن تاريخ عدد من الدول الإسلامية من الخلفاء الأوائل، وبني العباس،وبني الأغلب،وبني أمية بالأندلس،والطوائف،والمرابطين،والموحدين[2].

وتحدث محمد كمال شبانة عن هذا الكتاب بقوله: « نظم شعري في ألف بيت،يتناول فيه المؤلف تاريخ الدولة الإسلامية بالمشرق،والأندلس مذيلاً كل قصيدة بشرح لها،ويقع المؤلف في مجلد واحد طبع بتونس

---

(1)محمد كمال شبانة :المرجع السابق،ص:33.

(2)ابن الخطيب:المصدر نفسه،ص:45.

(3)محمد كمال شبانة :المرجع السابق،ص:33.

عام:1316هـ،وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو نفسه (الحلل المرقومة)،تبعاً لما جاء في نسخة مكتبة مدريد الوطنية،والتي نسخت عن مخطوطة الأسكوريال(رقم:1776)»[1]

7-معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار:

هو وصف شامل لأهم مدن مملكة غرناطة،ومملكة المغرب الأقصى،وقد تطرق فيه ابن الخطيب إلى النواحي الجغرافية،والتاريخية،والاجتماعية لأغلب المدن التي تناولها [2]،«فقد تناول ابن الخطيب أول ما تناول من مدن الأندلس مدينة (اسطبونة)،وانتهى بمدينة (رندة)،وهو في تناوله هذا للمدن لم يراع ترتيباً جغرافياً،ولا تاريخياً،بل ولا أولوياً،فقد كانت مدينة غرناطة مثلاً في المرتبة السادسة بعد العشرين من وصفه،رغم أنها حاضرة المملكة،ولها من المبررات ما يجعلها أهلاً للمرتبة الأولى من وصفه،ولكن المؤلف حرر نفسه من كل قيد لتقديم مدينة على أخرى أياً كانت دواعي التفضيل،وكيفما بلغت أهميته،لقد كان المؤلف يتعرض للمدينة في وصفه،فيتناولها من معظم ما يتعلق بها،إذ يتحدث عن موقعها الجغرافي،ومكانتها التاريخية،وحالة سكانها الاجتماعية،فيعطينا صورة واضحة-إلى حد بعيد- عن كل مدينة تناولها قلمه »[3]،والكتاب يتألف من مجلسين،أو فصلين،وقد بناه على طريقة المحاورة.

8-الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة(تراجم):

يضم هذا الكتاب، بين طياته، تراجم لمجموعة من الأدباء،والكتاب،والعلماء،والمقربين،والفقهاء،والخطباء،والشعراء الذين عاصرهم ،والتقى بهم،كما يحوي نماذج من آثارهم شعرية،ونثرية،وقد ذكر ابن الخطيب في ديباجته أنه جمع فيه «جملة وافرة،وكتيبة ظافرة،ممن لقيناه ببلدنا الذي طوينا جديد العمر في ظله ما بين من تلقينا إفادته،وأكرمنا وفادته،وبين من علمنا وخرجنا،ورشحنا،ودرجنا،ومن اصطفيناه،ورعيناه فضلاً صنعناه»[4].

وقد تولى تحقيقه إحسان عباس،الذي ذكر في المقدمة التي كتبها له أن ابن الخطيب كان يكتب (الكتيبة الكامنة)في جمادى الآخرة من عام: 774هـ،وقدم لمحة عن الكتاب فأشار فيها إلى أن ابن الخطيب ترجم فيه

---

(1)الحسن بن السائح:المرجع السابق،ص:84.

(1) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة،المقدمة،ص:29.

(2) المصدر نفسه،ص:19.

لثلاثة أشخاص ومائة «جعلهم في قسمين كبيرين:الذين قضوا نحبهم قبل تأليف الكتاب (من رقم1-84)والذين كانوا ما يزالون على قيد الحياة عند تأليفه (من رقم85-103).وفي هذه القسمة شيء من التجوز فإن بعض الذين ترجم لهم في القسم الأول عاشوا بعد وفاة ابن الخطيب نفسه مثل القاضي النباهي.ثم قسم المترجمين حسب ما غلب على كل واحد منهم فجاءوا في الطبقات الآتية:

1-طبقة الخطباء والصوفية(1-19)وحظهم في الإجادة قليل.

2-طبقة المقرئين والمدرسين(20-30)وهم أقل شأناً من الطبقة السابقة في باب الشعر.

3-طبقة القضاة (31-54)وهي طبقة منحطة في البيان لاقتصار مداركها على علوم الأديان،ويندر فيها المجيد.

4-طبقة من خدم أبواب الأمراء من الكتاب والشعراء (55-103)،وربما كانوا متميزين بالإجادة أكثر من أفراد الطبقات السابقة»[1].

ويرى إحسان عباس أن كتاب (الكتيبة الكامنة)على اعتبار أنه يقوم على السجع فهو قليل الفائدة من الناحية التاريخية الإخبارية مقارنة مع كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة)،ولكنه في جميع الأحوال يقدم صورة عن الحياة الأدبية في القرن الثامن بالأندلس.

9-أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،وما يجر ذلك من الكلام:

يذكر جرجي زيدان أن اسمه (الإعلام بمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام) ويصفه بأنه «يدخل فيه أكثر تاريخ الأمويين،والعباسيين،ودول المشرق،والمماليك البحرية،والدولة العلوية بمكة والمدينة،وتاريخ الأندلس إلى محمد بن يوسف،والملوك النصارى فيها،وتاريخ المغرب.منه نسخة في الجزائر.وطبع بالرم سنة:1910م»[2].

ويبدو أن هذا الكتاب هو آخر ما ألفه ابن الخطيب،حيث وجهه للوزير أبي بكر بن غازي عقب وفاة السلطان عبد العزيز المريني [3]،وتنصيب ابنه الطفل سعيد سلطاناً مكانه،وقد قسمه إلى جزأين الأول خاص

---

(1) تاريخ آداب اللغة العربية،مج2،ص:226.

(2) ينظر:محمد الطيب محمد عبد المانع وإبراهيم عبد الرحيم يوسف:تاريخ الأدب والنصوص الأدبية،ص: 459. (3)محمد عبد الله عنان:المصدر السابق،ص:57.

بالشرق الإسلامي،والثاني خاص بتاريخ الأندلس،وقسم آخر لم يكمله خصصه لتاريخ إفريقية،والمغرب،وقد كان هدفه من وضع هذا الكتاب إثبات أن ما حدث مع الطفل سعيد هو أمر طبيعي،وتصرف صائب،وغير مخالف لتعاليم الدين الإسلامي،وله الكثير من النظائر في التاريخ الإسلامي[1]

10-ريحانة الكُتَّاب،ونُجعة المُنتاب(ألوان أدبية وسياسية):

يذهب الباحث محمد عبد الله عنان أن هذا الكتاب من أهم كتب ابن الخطيب بعد كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة»،وهو عبارة عن جملة من المقتبسات من مؤلفات عدة له،ويقع في مجموعة أسفار [2]،وقد فصل ابن الخطيب في ديباجته محتوياته فذكر أنه يشتمل على:تمهيدات من أوائل المصنفات،وفي هذا الباب اختار نبذاً من كتب،ورسائل سابقة له [3]،كما ضمنه طائفة من الرسائل السلطانية التي كتبها ابن الخطيب عن سلاطين غرناطة،وفيه رسائل كتبت في مخاطبة الرعية،وظهائر الأمراء،ورسائل إلى الأصدقاء،والقضاة،كما أن فيه مقامات،وفكاهات،ودعابات

11-نفاضة الجراب في علالة الاغتراب:

وهو واحد من كتب ابن الخطيب التي تكتسي أهمية بالغة،ووجه أهميته يكمن في أنه يحوي مذكرات ابن الخطيب الشخصية،ومن حيث الحجم هو كتاب ضخم،ويقدم صورة وافية عن فترة من أهم فترات حياته [4]،حينما كان يعيش في المغرب تحت لواء الدولة المرينية،فوصف في هذا الكتاب حالته
الاجتماعية،والاقتصادية،والثقافية،التي يعيشها المغرب في تلك الفترة،وقد ذكر ابن الخطيب أنه يقع في ثلاثة أسفار مرة،وأربعة مرة أخرى[5].

12-مقنعة السائل عن المرض الهائل:

وهي رسالة طبية تطرق فيها ابن الخطيب للطاعون الذي حل بالأندلس،وحوض البحر الأبيض المتوسط في سنة:749هـ(1948م).

---

(1) المصدر السابق،ص:59 وما بعدها.

(2)المقري:نفح الطيب،مج5،ص:108.

(3)أحمد مختار العبادي:مقدمة كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب،ص:7 وما بعدها.

(4) محمد الشريف قاهر:المرجع السابق،ص:103.

13-الإشارة إلى أدب الوزارة:

رصد في هذا السفر واجبات الوزير،وسلط الضوء على مجموعة من الشروط التي ينبغي أن تتوفر فيمن يتقلد هذا المنصب.

14-خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف:

أصل هذا الكتاب رسالة كتبها سنة: 748م، وصف فيها رحلة السلطان أبو الحجاج التي قام بها في بعض مدن المملكة.

15-المنهل العذب في شرح أسماء الرب(مخطوطة).

16-تأليف في الأدب(مخطوطة).

17-الوصول لحفظ الصحة في الفصول:

وهو كتاب طبي،تذكر المصادر أنه ألفه سنة: 771هـ بغرناطة.

18-استزال اللطف الموجود في سر الوجود:

19-جيش ألة وشيح:

ذكر الدكتور محمد الشريف قاهر أنه كتاب يتضمن مجموعة مختارة من موشحات ستة عشر من أئمة التوشيح بالأندلس،أورد لهم ابن الخطيب في جيشه خمسة،وستين،ومائة موشح.

20-مفاخرة بين مالقة وسلا:

وهي رسالة،وتذكر كذلك بعنوان:« مفاضلة مالقة وسلا».

21-في فن العلاج في صنعة الطب.

22-مثلى الطريقة في ذم الوثيقة.

23-السحر والشعر.

24-أوصاف الناس في التواريخ والصلات.

25-تافه من جم ونقطة من يم.

26-الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة.

27-طرفة العصر في أخبار دولة بني نصر.

28-رسائل في الفلسفة.

29-رسائل في الفقه.

30-مساجلة البيان.

31-النفاية بعد الكفاية.

32-كتاب المحبة.

33-المنح الغريب في الفتح القريب.

34-تلخيص الذهب في اختيار عيون الكتب.

35-الألفية في أصول الفقه.

36-المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية.

37-رسائل في الموسيقى.

38-المختصر في الطريقة الفقهية.

39-فتات الخوان وسقط الصوان.

40-رسالة تكوين الجنين.

41-الرجز في عمل الترياق.

42-البيطرة والبزرة.

43-عائد الصلة.

44-خلع الرسن في وصف القاضي أبي الحسن.

45-اليوسفي في الطب.

46-الاكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر.

47-الأرجوزة المعلومة.

48-تخصيص الرياسة بتلخيص السياسة.

49-منظومة في سياسة الملوك.

50-ظل الغمام المقتضب من الصيب والجهام.

لقد عني كثير من الدارسين بتعداد آثار ابن الخطيب،ويبدو أن حماستهم الزائدة،وعاطفتهم المبالغ فيها ،ورغبتهم في تضخيم شخصيته دفتعهم إلى أن ينسبوا إليه عدداً كبيراً من الكتب،ويرجع الفضل في الكشف عن كتبه المنسوبة إليه إلى الباحث محمد التطواني،وقد حصرها في:

1-شرح الألفية.

2-تحفة الألباب في شكل الأسماء والأنساب.

3-أوصاف الناس في التواريخ والصلات.

4-المحاضرات.

5-مركز الإحاطة.

6-الحلل الموشية في الأخبار المراكشية.

7-الإماطة عن وجه الإحاطة.

8-المختصر في الطريقة الفقهية.

9-درة التنزيل وغرة التأويل(للخطيب الإسكافي).

10- قصيدة أنجم السياسة التي تنسب للوزير أبي محمد المالقي،وللسان الدين بن الخطيب،وللرئيس أبي القاسم بن رضوان،وقد نسبها إلى لسان الدين محمد بن عبد الله الدمناتي،بإشارة من أبي عمه أبي العباس القاضوي الذي ندبه لشرحها نجل السلاطين مولاي ابن عبد الله هشام،وهذا غلط لأن القصيدة لا توجد بديوان ابن الخطيب،وتنفرد عن أسلوبه الشعري والتاريخي.

11-المقامات لابن الخطيب في السياسة:وهي حضرة الارتياح المغنية عن الراح لابن أبي حاتم الغائلي،وتنسب إلى ابن الخطيب خطأ[1].

وبالنسبة لشعر لسان الدين ابن الخطيب فأغلب الدارسين يذهبون إلى أن شعره يتسم بالرقة،والعذوبة،فهو«شاعر ،وشاح،مترسِّل،كاتب، وهو يمثل-على أكثر من وجه-حركة الأدب في القرن الثامن الهجري،وإن لم يكن المقدم على شعراء عصره.ولكن غزارة نتاجه،ووفرة شعره بين أيدينا تجعل الحديث عنه صالحاً للمقايسة،والمقابلة

ويسيطر على شعر لسان الدين جانبان:الوجدانيات الخاصة به من شعر ذاتي،كالتأمل،والغزل،ووصف الطبيعة الأندلسية(غرناطة وما حولها)والتعبير بالشعر عن جوانب الحياة من وجهة نظر الشاعر المتأمل...وما يخص نفسه،وأسرته،وحياته الخاصة.

والجانب الآخر: استخدام الشعر وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي،وخصوصاً شعر المديح الذي كان يقدّمه-كغيره من شعراء العصر-إلى البلاط النصري في المناسبات،والاحتفالات،والأعياد...والشعر الذي جعله تصويراً للأحداث العامة.

ويتابع لسان الدين سلسلة الشعراء الذين سخروا الشعر لتدوين التاريخ،وكتابه (رقم الحلل في نظم الدول)مثال لذلك لأنه منظومة في تلخيص التاريخ الإسلامي،وتلخيص تاريخ الأسرة النصرية إلى زمانه.

ومن هنا اتسم شعره أحياناً بما يتسم به شعر البديهة،والسرعة،والارتجال أحياناً.وكتن صورة عصرّية حيّة تعين على تكميل تاريخ الفترة،ودراستها.

ولسان الدين بن الخطيب -على العموم-شاعر طويل النفس مقتدر على إطالة القصائد.وفي شعره لمحات دالة باستمرار على ثقافته الواسعة،ومخزونه التراثي الغزير الذي يحسن استخدامه.

---

(1) الحسن بن محمد السائح:المرجع السابق،ص:87،وما بعدها.

ويمتاز الشاعر على الجُملة بالتمكن اللغوي،وتراص البناء الشعري،وسيطرة الفكرة أحياناً على حساب العاطفة.ومحاولة الشاعر باستمرار أن يعتمد أسلوب التصوير،والتخييل،وأن يشحن القصيدة-أو القطعة-بما يستطيع من طاقة غنائية موسيقية»[1].

ويذهب ابن الأحمر إلى القول إن ابن الخطيب هو «شاعر الدنيا،وعلم المفرد،والثنيا،وكاتب الأرض إلى يوم العرض،كما قال فيه بعض أعلام النقد القديم:شعره ما بعده مطمع لطامع،ولا منعرج على شاعر بعده للآذان،والمسامع،وهو رأي لا يختلف فيه النقاد القدماء الذين رأوا في ابن الخطيب شاعراً عظيماً،والواقع أن الشعر الأندلسي صب آخر جداوله في غرناطة حيث كان ابن الخطيب بلغ مرحلة النضج،وتجاوز التهافت على المحسنات البديعية،وتقليد أدب المشارقة،وأصبح قادراً على التعبير الصادق،والتوجيه السديد،فكانت قصائد ابن الخطيب تواكب الأحداث،وتساير حركة التاريخ،وتعبر عن ذلك في صدق،ووضوح،كما كانت له قصائد غنائية تصور عبث الحياة في غرناطة حين تتناسى الحروب،والكروب»[2].

وقد طرق ابن الخطيب مختلف الأغراض،والفنون الشعرية المعروفة في عصره كالشعر الديني،والغزل،والمدح،والرثاء،والإخوانيات،وغيرها.

---

(1) محمد رضوان الداية:الأدب الأندلسي والمغربي-أبحاث في الأدب الأندلسي والمغربي-،ص&258.

(1) الحسن بن محمد السائح:المرجع السابق،ص:55.

القسم الثاني: التعريف بالكتاب:بواعث تأليفه،مصادره،منهجه،أسلوبه

1- التعريف بكتاب الإحاطة:

يعد كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين ابن الخطيب من أهم الكتب الأدبية ، و التاريخية في الأندلس، وهو من أشهر مؤلفات ابن الخطيب، تناول فيه أخبار هذه المدينة الشهيرة عاصمة بني الأحمر (633-897هـ)، تاريخيا، وأدبيا، وجغرافيا، وسياسيا، واجتماعيا، منذ الفتح الإسلامي لايبيرية (إسبانية والبرتغال حالياً)سنة 92هـ، حتى عصر المؤلف (دولة بني الأحمر)، منتهيا منه إلى عهد السلطان الغني بالله محمد الخامس ثامن ملوك بني الأحمر، حيث وزر له مرتين، وهو دراسة متميزة لسيرة أعلام غرناطة،ومن وفد عليها، ويتألف من خمسة عشر سفرا، أو اثني عشر سفرا [1]، كما في ريحانة الكتاب [2] ، وهذه الأسفار في مجموعها، قسمان كما ورد في نهاية مقدمة الكتاب.

القسم الأول«في حلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن» وهو الخاص بغرناطة بني الأحمر.

والقسم الثاني «في حلى الزائر والقاطن، والمتحرك والساكن» وهو لب الكتاب، وفيه تناول تراجم الشعراء والأدباء والملوك، والوزراء ، والعلماء، وسواهم، متبعا الترتيب الهجائي التاريخي، ويرجع تأليف ابن الخطيب للكتاب إلى ما قبل سنة 760 هـ، ولكنه لم يفرغ منه إلا في أواسط عام 765هـ [3].

وقد تحدث الباحث محمد عبد الله عنان،محقق النسخة التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا بالتفصيل عن تاريخ تأليفه فأشار إلى أن ابن الخطيب قد يكون بدأ في كتابته،أو جمع مواده قبل محنته الأولى ،حينما عُزل سلطانُه،ونفي معه إلى المغرب،وذلك في سنة: 761هـ،وقد استأنف الكتابة فيه عقب عودته من منفاه بالمغرب إلى غرناطة في سنة: 763هـ،وبعد استمراره في وزارته الثانية ،والتي دامت زهاء عشرة أعوام،وهي المرحلة التي توصف بأنها ألمع فترات حياته،وأخصبها إنتاجاً استمر في كتابة تراجم الإحاطة،وهذا ما ظهر في كثير من إشاراته،حيث ذكر في رسالة إلى ابن خلدون مؤرخة في جمادى الأولى سنة:769هـ،أنه أتمه قبل أوائل سنة:769هـ،وأنه بعث بنسخة من «الإحاطة»إلى المشرق،كما يستشف أيضاً من إشارات كثيرة أن ابن الخطيب استمر في تدوين، تراجم الإحاطة ،وتنقيحها إلى غاية أوائل سنة:772هـ[4]

ويذكر محمد عبد الله عنان أن أول من نسخ كتاب «الإحاطة»هو تلميذ ابن الخطيب أبو عبد الله الشريشي،مؤدب أولاد السلطان من مسودات ابن الخطيب،حيث كان يثق فيه،ووفق ما حدثنا المقري فقد جاءت

---

(1)ينظر: كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار للسان الدين بن الخطيب،تحقيق:محمد كمال شبانة،(د.ت)،المقدمة،ص:30-31.

(2) ينظر: مخطوط الريحانة بالخزانة العامة بالرباط، لوحة : 13، اقتبسه محمد الشريف قاهر في كتابه:دراسة وتحقيق ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام للسان الدين بن الخطيب،ص:97.

(3) ابن الخطيب: المصدر السابق،مج1، ص:31.

(4)ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج1 ،المقدمة ،ص:5 وما بعدها(بتصرف).

النسخة الأولى في ستة مجلدات،وينبه محمد عبد الله عنان إلى أن النسخة الوحيدة المقول بأنها هي النسخة الكاملة التي انتهت إلينا من«الإحاطة» هي نسخة جامع الزيتونة،وهي تقع في ثلاثة مجلدات[1].

وقد صدر كتاب الإحاطة على مراحل عن منشورات مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة، بتحقيق محمد عبد الله عنان بين سنتي 1978/1973م في أربعة مجلدات، وهي الطبعة التي اعتمدن ا عليها في دراستنا.

ويصف جرجي زيدان كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة)بأنه« معجم تاريخي لمشاهير غرناطة في ثلاثة مجلدات،مرتبة على حروف الهجاء.في صدره فذلكة جغرافية خطط فيها ولاية غرناطة،وما يتبعها،وذكر عادات أهلها،ومعايشهم،وأزياءهم،وجندهم،وسلاحهم،وكثيراً من أحوالهم الاجتماعية لعهده.ثم أتى على التراجم،وقسم ترجمة كل رجل إلى أبواب في تاريخ حياته،ومناقبه،وسائر أحواله على ما تقتضيه ترجمته.وختم الكتاب بترجمة نفسه.ومنه نسخة خطية في المتحف البريطاني،والأسكوريال.واهتمت شركة طبع الكتب المصرية بنشره فوجدت الجزء الأول منه في دار الكتب المصرية،وأخذت تبحث عن الجزئين الآخرين.فصدر الجزء الأول منه مطبوعاً في نحو400صفحة،والثاني في308صفحات سنة:1319.وقد لخص هذا الكتاب كازيري.وله مختصر اسمه: (مركز الإحاطة بأخبار غرناطة)في برلين،وباريس،ومدريد»[2].

إن كتاب :(الإحاطة في أخبار غرناطة)يصف أدق وصف التاريخ السياسي،والأدبي،والاجتماعي لمدينة غرناطة في الحقبة التي عاش فيها لسان الدين بن الخطيب،ويتحدث فيه بإسهاب عن المراحل السابقة،كما يسلط الأضواء على أمور دقيقة تتصل بالطبيعة،والأرض، وسماتها،ومدينة غرناطة،وجنانها،وأنهارها،ويرصد فيه ابن الخطيب تاريخ المدينة،ويصفها وصفاً دقيقاً شافياً،ووافياً في بلاغة،وبراعة،فضلاً عن كونه يحوي ترجمات وافية للأعلام القدامى،والمعاصرين لابن الخطيب،فهو كتاب أدب،وفن،وتاريخ،وسياسة،ولم يخل من تقويمات جغرافية،واقتصادية،واجتماعية، إضافة إلى أنه يعتبر معجماً من المعاجم النفيسة التي تحوي تراجم ضافية للعلماء من شتى الأصناف.

وقد أجمع عدد كبير من كبار الدارسين،والمؤرخين على أنه كتاب فريد بين كتب التاريخ في موضوعه،وذهبوا إلى أنه أهم كتاب وصل إلينا من مؤلفات ابن الخطيب،وهو لا يقتصر على التأريخ لمدينة غرناطة فحسب،ولكنه «عبارة عن موسوعة شاملة لكل ما يتعلق بهذه المدينة الأندلسية التالدة،من الأخبار،والأوصاف،والمعالم،فهو يتناول وصف جغرافيتها،وخِططها،ومواقعها،وما يحيط بها من المروج،والجبال،ثم يتناول تاريخها منذ نزل بها العرب الأوائل،وأخبار من كان بها،ومن نزلها أو مر بها من الكتّاب،والشعراء،والأدباء،والوزراء،والمتغلبين،كما يتضمن خلاصة لتاريخ الدولة النصرية منذ عصر مؤسسها

---

(1) المصدر نفسه،ص:6.

(2) تاريخ آداب اللغة العربية، مج2 ،ص:225 وما بعدها.

محمد بن يوسف ابن الأحمر حتى عصر المؤلف.وهذا عدا ما يورده المؤلف خلال موسوعته من تراجم فياضة لملوك الدولة النصرية المتعاقبين»[1].

ويصف الباحث محمد الشريف قاهر الكتاب بأنه موسوعة جامعة لكل ما يتصل بغرناطة تاريخياً،وجغرافياً،واقتصادياً،وإنتاجاً فكرياً،منذ الفتح الإسلامي إلى عصر ابن الخطيب،ويعتني بصفة خاصة بترجمة أكابر العلماء،والشعراء من المعاصرين له في الأندلس،والمغرب،ويلتزم الترتيب الأبجدي لأصحاب التراجم[2].

وقد تحدث المقري عن المكانة التي تحتلها الإحاطة في النفوس،ولاسيما لدى علماء المشرق فقال: «وأما كتاب الإحاطة،فهو الطائر الصيت بالمشرق،والمغرب،والمشارقة أشد إعجاباً به من المغاربة،وأكثر لهجاً بذكره،مع قلته في هذه البلاد المشرقية،وقد اعتنى باختصاره الأديب الشهير «البشتكي»محمد بن إبراهيم الدمشقي المتوفى عام:830هـ،وسماه(مركز الإحاطة في أدباء غرناطة)»[3]. ويقع اختصاره في سفرين،اطلع المقري على السفر الثاني منهما،و «نص على كون البشتكي اختصر أربعة أسفار من أصل الإحاطة في سفرٍ،أي أن الكتاب فقد ثلاثة أرباعه،وهذه المواصفات لا تتماشى مع مواصفات هذا السفر أنه من حيث المادة التي يحتويها يزيد حتى على النص المطبوع بأكثر من الضعف،ولعل مختصر البشتكي لا يتجاوز نصف النص المطبوع من الإحاطة»[4].

ونظراً للأهمية الكبيرة التي يمثلها كتاب (الإحاطة)،فقد اختصر عدة مرات،من قبل العديد من الأدباء،والمشائخ،ومن مختصري الإحاطة كذلك الشيخ (أبو جعفر البقني)،فقد نقل عنه «فيما يظهر صاحب النيل،وأبو جعفر البقني عاش بعد سنة ست وثمانين أي بعد تاريخ نسخ السفر موضوع الحديث.ومن ثم فقد أضاف في مختصره إلى نص الإحاطة أشياء حدثت بعد وفاة ابن الخطيب،وذلك كما وقع في ترجمة ابن خلدون مثلاً»[5].

2- بواعث تأليف الكتاب:

---

(1)ابن الخطيب:المصدر السابق،ص:3 وما بعدها.

(2)تحقيق ودراسة الصيب والجهام والماضي والكهام،ص:95 وما بعدها.

(3) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،مج:09،ص:308.

(4)عبد السلام شقور:الإحاطة في أخبار غرناطة،نصوص جديدة لم تنشر،المقدمة،ص:8 وما بعدها.

(1) عبد السلام شقور:المرجع السابق،ص:18.

(2) سورة هود،الآية:120.

يشكل كتاب«الإحاطة في أخبار غرناطة»امتدادًا لبعض الدراسات السابقة التي قام بها بعض المؤرخين في المشرق،والمغرب،وقد ذكر ابن الخطيب بواعث تأليف كتاب الإحاطة، ومصادره في مقدمة كتابه فقال: «... ولما كان الفن التاريخي مأرب البشر، ووسيلة إلى ضم النشر يعرفون بهأنسابهم في ذلك شرعاً، وطبعاً وما فيه، ويكتسبون به عقل التجربة في حال السكون والرفيه ،ويستدلون ببعض ما يبدي به الدهر ويشفيه، ويرى العاقل من تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره بالإسلام ، ويخفيه، ويمر على مصارع الجبا برة فيحسبه بذلك واع ظاً ويكفيه. وكتاب الله يتخلله من القصص ما يتمم هذا الشاهد لهذا الفن ويوفيه. قال تعالى: ﴿وكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيكَ مِن أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [1]».

وقال عز من قائل: « نَحنُ نَقُصُ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوحَينَا إِلَيكَ هَذَا القُر ءَانَ، وَإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ»[2].

فوضح سبيل مبين، وظهر أن القول بفضله يقتضيه عقل ودين . وإن بعض المصنفين ممن ترك نومه لمن دونه، و أنزف ماء شبابه مودعاً إياه بطن كتابه يقصده الناس ، ويردونه اختلفت في مثل هذا الباب أغراضهم. فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان، ومنهم من اعتنى برجال هبعد اختيار الأعيان عجزاً عن الإحاطة بهذا الشأن، عموما في أكثر الأقطار،وخصوصاً في بعض البلدان.

فتذكرت جملة من موضوعات من أفرد لوطنه تاريخاً هز إليها–علم الله– وفاءٌ وكرمٌ، ودار عليها،بقول الله من رحمته الواسعة،حرمٌ، كتاريخ مدينة بخار ي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الفخار. وتاريخ إصبهان لأبي نعيم احمد بن عبد الله الحافظ بن عبد العزيز بن القصار.

وتاريخ بغداد للخطيب أبي بكر بن ثابت، وأخبار بغداد لأحمد بن أبي طاهر. وتاريخ واسط لأبي الحسين على بن الطيب الخلافي. وتاريخ من نزل حمص من الصحابة ومن دخلها، ومن ارتحل عنها. وتاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسين بن عساكر. وتاريخ مكة للأزرقي. وتاريخ المدينة لابن النجار. وتاريخ مصر لعبد الرحمن بن أحمد بن نواس. وتاريخ الإسكندرية. وتاريخ طبقات فقهاء تونس لأبي محمد بن عبد الله بن أبي العباس بن خلف التميمي. وعنوان الدراية في ذكر من كان في الم ائة السابعة ببجاية، صاحب الحلية. وتاريخ إصبهان أيضا لأبي زكريا يحي بن عبد الوهاب بن قندة الحافظ. وتاريخ نيسابور [3] للحاكم أبي عبد الله

---

(1) سورة يوسف،الآية:3.

(2) نيسابور: مدينة قديمة من مدن خراسان تقع جنوب غربي طوس، وكان لها أيام الدولة الإسلامية ش أن عظيم، و إليها ينتسب عدد كبير من العلماء. ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج5،ص:331 وما بعدها.

(1) الحضرة: العاصمة (غرناطة) وهي القاعدة والعاصمة.

بن اليسع، وذيله لعبد الغافر بن إسماعيل. وتاريخ همذان لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار. وتاريخ طبقات أهل شيزار لأبي عبد الله محمد

لأبي العباس الغبريني. وتاريخ تلمسان لابن الأصفر. وتاريخها أيضا لابن هدية. وتاريخ فاس لابن عبد الكريم. وتاريخها أيضا لابن أبي زرع. وتاريخ فاس أيضا للقونجي. وتاريخ سبته المسمى بالفنون الستة،لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض. وتاريخ بلنسية لابن علقمة. وتاريخ إلبيرة لأبي القاسم محمد الغافقي الملاحي،وتاريخ شقورة لابن إدريس،وتاريخ مالقة لأبي عبد الله بن عسكر، تركه غير تام،فأتمه بعد وفاته ابن أخيه أبو بكر بن خمسين. وا لإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة، لأبي العباس أصبغ بن العباس. والاحتفال في أعلام الرجال، لأبي بكر الحسن بن محمد بن مفرج القيسى. وتاريخ قرطبة، منتخب كتاب الاحتفال. وتاريخ الرؤساء،والفقهاء، والقضاة بطليطلة،لأبي جعفر بن مظاهر. ومنتخبه لأبي القاسم بن بشكوال. وتاريخ فقهاء قرطبة، لابن حيان. وتاريخ الجزيرة الخضراء لابن خمسين ،وتاريخ قلعة يحصِب المسمى بالطالع السعيد، لأبي الحسن ابن سعيد. وتاريخ بقيرة لأبي عبد الله بن المؤذن. والدرة المكنونة في أخبار لشبونة،لأبي بكر بن محمد بن إدريس الفارابي العالوسي. ومزية المرية،لأبي جعفر أحمد بن خاتمة من أصحابنا. وتاريخ المرية وباجة، لشيخنا نسيج وحده أبي البركات بن الحاج، متع الله بإفادته، وهو في مُبيضته،لم يرمها بعد.

فداخلتني عصبية لا تقدح في دين ، ولا منصب، وحميةٌ لا يذم في مثلها متعصب،... ورأيت أن هذه الحضرة[1] التي لا خفاء بما وفر الله من أسباب إيثارها،وأراده من جلال مقدارها، جعلها ثغر [2] الإسلام، ومتبوأ العرب ا لأعلام قبيل [3] رسوله عليه أفضل الصلاة ،وأزكى السلام ،وما خصها من اعتدال الأقطار، وجريان الأنهار، وانفساح الاعتمار، والتفاف الأشجار...نزلها العرب الكرام عند دخولهم مختطين فعمروا وأولدوا ، وأثبتوا المفاخر وخلدوا.....

وقد كان أبو القاسم الغافقي [4] ،من أهل غرناطة، قد قام من هذا الغرض بفرض ، وأتى من كل ببعض. فلم يشف من غلة، ولا سد خلة، ولا كثّر قلة [5] فقمت بهذا الوظيف، وانتدبت للتأليف. ورجوت على نزارة حظ الصحة، وازدحام الشواغل[6]. الملحة أن اضطلع من هذا القصد بالعبء الذي طالما طأطأت له الأكتاد»[1].

---

(2) الثغر: المكان الذي يخشى منه مجيء العدو (حدود البلاد الإسلامية على بلاد الأعداء المحاربين).

(3) المتبوأ: المسكن والمستقر. القبيل: القوم،الأهل.

(4) يشير ابن الخطيب هنا إلى أبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي المعروف بالملاحي نسبة إلى الملاحة(lamala)، وهي قرية في جنوب غربي غرناطة، ما تزال قائمة حتى اليوم، وهو مؤلف كتاب "تاريخ علماء إلبيرة"، وهي عاصمة ولاية غرناطة القديمة (ينظر كتاب الإحاطة،ج1،ص85، هامش2).

(5) الغلة: العطش. الخلة: الفرجة، الثقب الصغير، الحاجة والفقر. الوظيف: عظم دقيق في الساق (وهو يقصد الوظيفة: العمل الذي يقدر الإنسان عليه). وانتدبت (نفسي) للتأليف.

(6) الشواغل ليست في القاموس. المقصود الأشاغيل جمع أشغولة(بالضم): ما يشغل (بفتح العين) الإنسان ويلهيه. الكند (بفتح ففتح): الكاهل (مجتمع الكتفين).

والجدير بالذكر أن الأندلسيين قد اهتموا اهتماماً كبيراً بكتب التراجم في مختلف مراحل حياتهم الثقافية،إذ ركزوا على«تاريخ بلادهم،وتاريخ الفكر الإسلامي بصفة عامة،وقد ظهر ذلك منذ وقت مبكر...،وكان من أوائل المؤرخين عبد الملك بن حبيب (238هـ)،وآل الرازي محمد بن موسى الرازي (249هـ)،وابنه محمد بن أحمد(324هـ)،وابن القوطية (327هـ)،مؤلف تاريخ الأندلس،وغريب بن سعيد (369هـ)،مؤلف مختصر كتاب الطبري،وحبان ابن خلف (377هـ)،مؤلف المآثر العامرية،وابن رزين (470هـ)،وابن حزم القرطبي مؤلف جمهرة أنساب العرب،وأبو القاسم صاعد الطليطلي (420هـ)،مؤلف طبقات الأمم وابن صاحب الصلاة (577هـ)،وبنو سعيد عبد الملك بن سعيد (560هـ)،وابنه محمد (519هـ)،وأبو جعفر أحمد (559هـ)،وعلي بن سعيد المغربي المولود(605هـ)،مؤلف المغرب في حلى المغرب،والمراكشي مؤلف المعجب (581-618هـ).وأخيراً بلغت الدراسات التاريخية للبلاد الأندلسية قمتها في القرن الرابع عشر الميلادي على يد ابن الخطيب المؤرخ الجامع للأخبار،والمحيط بالنشاطات السياسية،والاجتماعية،والفكرية،والوجدانية ثم ابن خلدون الفيلسوف الاجتماعي الذي اعتمد على رصيد المؤرخين ليضع علم الاجتماع»[2].

وأما الأمير ابن الأحمر،حفيد السلطان الغني بالله فقد أورد لدى حديثه عن أصل تأليف كتاب«الإحاطة»رواية لخصها الباحث محمد عبد الله عنان في أن «الأديب الغرناطي أبا عبد الله محمد بن جُزي،كاتب السلطان أبي الحجاج،عبر إلى العدوة،مغضوباً عليه ملتجئاً إلى السلطان أبي عنان سنة:703هـ،فأكرم أبو عنان وفادته،وطلب إليه أن يضع مؤلفاً عن الأندلس،فوضع في ذلك كتاباً متقناً جامعاً.ولما عبر ابن الخطيب إلى المغرب في أواخر سنة: 755هـ عقب مصرع السلطان أبي الحجاج،سفيراً عن سلطانه الغني بالله إلى السلطان أبي عنان،اطلع على مؤلف ابن جزي المذكور،وأعجب بمحتوياته،وخطر له أن يقوم بوضع كتاب في(الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة).ويقول لنا ابن الخطيب نفسه في ترجمته لابن جزي الواردة بالجزء الثاني من الإحاطة إنه اطلع على أجزاء من مؤلف ابن جزي المذكور تشهد باضطلاعه،وأي أنه ابن جزي قيد بخطه من الأجزاء الحديثة،والفوائد،والأشعار،ما يفوت الوصف،ويفوق الحد.ولما عاد ابن الخطيب إلى الأندلس،وألفى الحاجب الكبير أبا نعيم رضوان متربعاً في منصب الحجابة،والوزارة،وشعر أنه لا يستطيع إلى جانبه أن يزاول ما كان يطمح إليه من السلطان انتهز فرصة هذا الانتباذ،وعكف على تأليف كتاب (الإحاطة)وأخذ

---

(6) ابن الخطيب:المصدر السابق،مج1،ص:85.

(2) الحسن بن محمد السائح:منوعات ابن الخطيب،ص:49.

يدون تاريخ المواليد،والوفيات،والأسماء،والألقاب،ويراجع مختلف المصنفات،وكان ساعده الأيمن في ذلك أبو عبد الله الشريشي،فهو الذي تولى نقل المسودات،وترتيبها،وتبويبها،حتى تم الكتاب في ستة مجلدات،ولما عاد ابن الخطيب إلى الأندلس،عقب انتهاء محنته الأولى في سنة: 763هـ،عاد إلى مراجعة كتاب (الإحاطة) والزيادة فيه،حتى تحقق ما كان يبغيه له من السعة،والإحاطة،وتمت نسخته الأولى في اثني عشر سفراً»[1].

3-مصادره:

أما مصادره، فقد ذكرها أيضا في المقدمة[2]، وهي تنقسم إلى قسمين: مصادر كتابية ،ومصادر شفوية.

فأما المصادر الكتابية فمنها: تاريخ ابن القوطية، والمقتبس لابن حيان، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، والبيان المغرب لابن عذاري المراكشي، وقلائد العق يان للفتح بن خاقان، وتاريخ مالقة لابن عسكر، وتاريخ ابن الصيرفي الموسوم «بالأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية»، ثم إن ابن الخطيب قد نقل كثيرا، فيما يتعلق بالتراجم من كتاب «علماء إلبيرة»لأبي القاسم الغافقي، ومن كتاب «تاريخ ابن مسعدة» الموسوم بـ«تاريخ قومه»، وكتاب «القدح المعلى في التاريخ المحلى».

كما استعان أيضا بكتاب «الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد»لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي، وكتاب "الحلة السيراء" لابن الأبار، وكتاب «الصلة» لابن بشكوال، و «الذيل والتكملة» لعبد الملك المراكشي، و«صلة الصلة» لابن الزبير، وغيرها.

وأما المصادر الشفوية، فتتعلق بمعاصري ه،وهم الكثرة الغالبة في كتاب «الإحاطة»، من شيوخه، وتلامذته، وأصدقائه، وغيرهم. وكان يتحصل على المعلومات من الأشخاص أنفسهم، أو من ذويهم، ومعارفهم، وعول ابن الخطيب فيما يتعلق بسلاطين الدولة النصرية، ووزرائها على الوثائق، والرسائل الديوانية .

ومن هذه المصادر أيضا كتب ابن الخطيب السابقة التي صنفها من قبل ككتاب «اللمحة البدرية في الدولة النصرية»، وكتاب «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»، وكتاب «الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة» وسواها[3].

ونظراً إلى الأهمية البالغة التي تكتسيها المصادر التي اعتمد عليها لسان الدين ابن الخطيب في كتاب:« الإحاطة في أخبار غرناطة »، ،والتي تنعكس لا محالة على منهجه،فإننا نقدم لمحة موجزة عن أهمها:

1 - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي:

---

(1)ابن الخطيب:الإحاطة،مج2، ص:6 وما بعدها.

(2) سبقت الإشارة إلى بعض هذه المصادر عند حديث ابن الخطيب عن بواعث تأليفه لهذا الكتاب، وذكرهلطائفة من المؤرخين الذين أفردوا لوطنهم تاريخا.

(3)ينظر ابن الخطيب: الإحاطة، مج: 1، ص:4، وما بعدها.

يعد كتاب (تاريخ بغداد)للخطيب البغدادي، واحداً من أعرق الكتب التراثية القديمة،وقد ألفه البغدادي المتوفى سنة:462هـ/1072م،والكتاب«وإن حمل اسم(تاريخ بغداد)فهو كتاب تراجم لرجال بغداد،ولمن اتصلوا بها منذ عهد إنشائها حتى أيام المؤلف،أكثر منه تاريخاً للمدينة نفسها.وقد تحدث المؤلف عن المدينة،وعن بنائها،وخططها حديثاً موجزاً،ثم تحدث بتفصيل،وإسهاب عن الرجال الذين اتصلوا ببغداد سواءً أكانوا من أعيان أهلها،أم من كبراء الواردين عليها...،وبلغ عدد الذين ترجم لهم البغدادي في هذا الكتاب واحداً وثلاثين وثمان مائة وسبعة آلاف ترجمة.وقد رتبت مواد التراجم فيه ترتيباً معجمياً،رُوعي فيه تسلسل حروف اسم العلم،واسم الأب،وأول من ترجم لهم المحمدون تبركاً باسم النبي العربي محمد-صلى الله عليه وسلم- ...،ووقع الكتاب في أربعة عشر جزءاً،طُبع بتحقيق محمد حامد الفقي بالقاهرة عام: 1931م بمكتبة الخانجي،وطبع مصوراً بدار الكتاب العربي ببيروت عام:1969م».[1]

2 - الذحيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام:

وأما كتاب الذخيرة فهو أحد أهم الكتب التي رصدت التاريخ الأدبي للأندلس،فقد ألفه ابن بسام المتوفى عام: 542هـ بعد امتعاضه مما يلقاه أدباء الأندلس من إهمال،وإعراض من قبل مواطنيهم،فقرر وضع هذا السفر لرفع الضيم عنهم،ولفت الأنظار إلى قيمتهم،والاجتهاد في تدوين أخبارهم،وجمع العيون من مقطوعاتهم الشعرية،والنثرية،وهو يعد موسوعة أدبية جليلة فيها من أنباء الأندلس،وسير ملوكها،ووزرائها،وأخبار شعرائها،وكتابها ما أتاح لأجيال من المؤرخين،والكتاب الذين تناولوا شتى مناحي الحياة الفكرية،والاجتماعية في الأندلس أن يفيدوا منه،ويجدوا فيه من المعلومات ما لا مثيل له في أي كتاب أندلسي آخر،ولاسيما فيما يتصل بالفترة التي تسمى بعصر ملوك الطوائف،وبداية دولة المرابطين.[2]

ويقع كتاب الذخيرة في ثمانية أجزاء،وقد «انتهج المؤلف فيه منهج الثعالبي في يتيمته،وتأثر به،وقسمه إلى أربعة أقسام،ثلاثة من مناطق متفرقة في الأندلس،وخص الرابع بالوافدين على الأندلس من المغرب،و المشرق من أهل عصره.ويتضح من مقدمة ابن بسام غيرته على الأندلس،وحبه لأهلها».[3]

3 -المقتبس من أنباء أهل الأندلس لابن حيان القرطبي:

---

(1) محمد التونجي:المعجم المفصل في الأدب،ج:01، ،ص:214.

(2) علي بن محمد:ابن بسام الأندلسي وكتاب الذخيرة- دراسة في حياة الرجل وأهم جوانب الكتاب،ص:11.

(1) محمد التونجي: ،المرجع السابق،ج:2،ص:460.

(2) ابن حيان :المقتبس من أنباء أهل الأندلس،حققه وقدم له وعلق عليه:محمود علي مكي،ص:68.

(3)ابن القوطية:تاريخ افتتاح الأندلس،تحقيق وتعليق:إسماعيل العربي،ص:11.

وكتاب«المقتبس»لابن حيان،و موضوعه تاريخ الأندلس منذ الفتح العربي لها سنة:91هـ(711م)،حتى قريب من عصر المؤلف الذي عاش ما بين: (377-422هـ)/ (987-1031م)،وكما يذكر الباحث محمود علي مكي محقق الكتاب فهو ينتهي في الواقع بنهاية خلافة الحكم المستنصر على وجه التقريب،وقد وصفه الفقيه أبو محمد بن حزم في رسالته في فضل الأندلس بأنه كتاب تاريخ كبير «في أخبار أهل الأندلس تأليف أبي مروان بن حيان نحو عشرة أسفار،من أجل كتاب ألف في هذا المعنى،وهو في الحياة بعد،لم يتجاوز الاكتهال»[1].

4 - تاريخ افتتاح الأندلس لأبي بكر بن القوطية:

و أما كتاب «تاريخ افتتاح الأندلس »لأبي بكر بن القوطية فيمكن اعتباره مصدر المصادر في تاريخ الأندلس كما يذهب إلى ذلك الأستاذ إسماعيل العربي،حيث إننا نلفي «كبار المؤرخين مثل ابن عذاري،وابن خلدون،وابن الأثير يقتبسون مما كتبه ابن حيان (377-469هـ)،الذي ولد بعد عشر سنوات من وفاة ابن القوطية،ويتخذونه دليلاً،وحجة،بينما يستند ابن حيان إلى ابن القوطية،ويستشهد بروايته باعتباره معاصراً للأحداث التي يكتب عنها»[2]، وقد استفاد من هذا الكتاب الهام عدد كبير من القدماء،والمحدثين.

5 - أعلام مالقة لابن عسكر :

وفيما يتعلق بكتاب «أعلام مالقة »،والذي تعاقب على تأليفه القاضي بن عسكر،وابن أخته أبو بكر بن خميس،فقد جمعت فيه أخبار فقهاء مالقة،وأدبائها،كما اهتم بمن سكن مالقة،ودخلها،أو اجتاز عليها،ولم يغفل التطرق إلى أخبارهم،وسمات أدبهم،ومحاسنهم،ومراسلاتهم،وبلاغتهم،وذكر من أخذوا عنه من فقهاء الأندلس،وغيرهم،وهو كتاب نفيس يتصل بتراجم أعلام حاضرة أندلسية كان لها دور مهم في بناء الحضارة،والثقافة في دولة الإسلام بالأندلس،وهو بمادته الثمينة يكشف عما كانت تعرفه حاضرة مالقة من علم،ونشاط في ممارسته تحصيلاً،وتدريساً،وتأليفاً،كما أنه يقارب بيئة الأندلس في حواضرها،ومجالس علمائها،وما كان يجري في ساحات الدرس بين طلبتها،وأساتذتها[3].

6 -عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغُبريني :

وبالنسبة إلى كتاب: « عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية »لأبي العباس أحمد بن أحمد الغُبريني المتوفى سنة: 704هـ،فهو يحوي بين دفتيه تراجم أعلام تمكننا من استكشاف الحياةالتاريخية،و والأدبية،و الاجتماعية، في القرن السابع الهجري ببجاية،وما قبله بقليل،والباعث على تأليفه

---

(3)أبو عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس:أعلام مالقة،تقديم وتخريج،وتعليق:الدكتور عبد الله المرابط الترغي ،ص73.

هو رغبة الغبريني في التعريف برجال السند،والترجمة لهم حتى تكون صفاتهم،ومزاياهم واضحة للمتلقي، والقارئ،وقد حوى149ترجمة،«يمكننا أن نقسمها إلى ما يلي:

1-تراجم البجائيين،والجزائريين،ومن يتصل بهم.

2-تراجم الأندلسيين المهاجرين إلى بجاية ونواحيها.

3-تراجم الغرباء الوافدين عليها من المشرق» [1].

7 -الحلة السيراء لابن الأبار:

ويوصف كتاب «الحلة السيراء »لابن الأبار القضاعي المتوفى عام: 658هـ/1260م بأنه أحسن كتبه،وأعظمها فائدة،وهو من عيون ما ألف أهل الأندلس،وأحد المراجع الثمينة التي لا يستغني عنها من يؤرخ له،أو يكتب في أي ناحية من نواحي الحياة فيه،وقد كان صاحب الفضل في اكتشاف القيمة التاريخية،والأدبية لهذا الكتاب المستشرق دوزي، الذي أشاد بقيمته،وخصائص صاحبه،والشعر الموجود فيه ليس كله للأمراء،وقد بدا فيه ابن الأبار مؤرخاً فحلاً واسع الاطلاع،ونافذ النظر،وصادق الحكم [2].

4-منهجه:

تحدث ابن الخطيب عن منهجه في كتاب «الإحلاطة»فقال: « والترتيب الذي انتهت إليه حيلتي ،وصرفت في اختياره مخيلتي هو أنني ذكرت البلدة [3]، حاطها الله، منبها منها على قديمها ، وطيب هوائها وأديمها، وإشراق علاها ،ومحاسن حلاها، ومن سكنها وتولاها، وأحوال أناسها ومن دال بها من ضروب القبائل ،وأجناسها، وأعطيت صورتها وأرخت في الفخر ضرورتها. وذكرت الأسماء على الحروف المبوبة ، وفصلت أجناسهم بالتراجم المرتبة: فذكرت الملوك ، والأمراء ثم الأعيان ، والكبراء ثم الفضلاء ، ثم القضاة ، ثم المقرئين والعلماء ثم المحدثين ، والفقهاء ،وسائر الطلبة النجباء ثم الكتاب ،والشعراء، ثم العمال و الأثراء، ثم الزهاد ، والصلحاء، والصوفية والفقراء ليكون الابتداء بالملك ،والاختتام بالمسك ، ولينظم الجميع انتظام السلك [4]. وكل طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة والاستقرار أو طرأ عليها مما يجاورها من الأقطار أو خاض إليها- وهو الغريب- أثباج[5] البجار، أو ألم بها ولو ساعة من نهار. فإن كثرت الأسماء نوعت وتوسعت، وإن قلت اختصرت وجمعت. وآثرت ترتيب الحروف في الأسماء ثم في الأجداد ،والآباء لشرود الوفيات ،والمواليد التي رتبها الزمان عن الاستقصاء. وذهبت إلى أن أذكر الرجل ،ونسبه، وأصالته، وحسبه ومولده ،وبلده، ومذاهبه،

---

(1) أبو العباس الغبرني:عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تحقيق:رابح بونار،ص:36.

(2) ابن الأبار،الحلة السيراء،حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس،ص:51 وما بعدها.

(3) البلدة (غرناطة).

(4)بالملك (أهل القوة). الاختتام بالمسك(بأهل الصلاح). انتظام السلك (ليكون الكتاب ممثلا لجميع طبقات المجتمع على الترتيب المخصوص).

(5) الثبج: وسط الشيء (ووسط البحر أيضا).

وأنحاله، والفن الذي دعا إلى ذكره، وحليته ،ومشيخته – إن كان ممن قيد علما أو كتبه– ومآثره إن كان ممن وصل الفضل بسببه[1] وشعره إن كان شاعرا، وأدبه، وتصانيفه إن كان ممن ألف في فن وهذبه، ومحنته إن كان ممن بزه الدهر، وسلبه، ثم وفاته ،ومنقلبه إذا استرجع الله من محنته حياته ما وهبه»[2].

و ما نلاحظه بالنسبة لمنهج ابن الخطيب في ترجمته لأعلام غرناطة أنه قد استفاد من الطرائق التي استخدمها المؤرخون من قبله،كما أنه لم يستخدم منهجاً واحداً وطبقه على الجميع،حيث إننا نجد تنوعاً في رصده للشخصيات التي يترجم لها،وقد «قسمه إلى أقسام قسم للملوك،والأمراء،وقسم للعمال،وثالث لذوي النباهة كالقضاة،والمتحققين بعلوم القرآن،والمحدثين،والفقهاء، ومن إليهم»[3].

كما أنه كثيراً ما يكشف النقاب عن الحياة العامة،ويهتم بالأحوال الاجتماعية،والاقتصادية التي وقعت،ويسرد الأحداث بدقة،ويؤرخ للتحولات السياسية،والثقافية،والفكرية،كما يقدم تراجم دقيقة لرجالات الأدب،والفكر،والدولة،وطبقاتهم من وزراء،وحجاب،وقضاة،وكتاب.

وفيما يتعلق بالخطوط العامة لمنهج ابن الخطيب في الكتابة التاريخية،والأدبية،والترجمة للأعلام فهو في أغلب الحالات يبدأ في عرض الشخصية المترجم لها كالآتي:اسمه،وكنيته،وأوليته (نسبه)،حاله(ثقافته– تخصصه)،نباهته،مشيخته،دخوله غرناطة (إن كان ليس من ساكنيها)،شعره،تصانيفه،محنته(لمن وقعت عليه المحنة)،مولده،وفاته.

وقد جعل ابن الخطيب من نظام الأسفار أساساً لتبويب الكتاب،وقاعدة لتقسيمه،فهو يحتوي على إثني عشر سفراً، «يضم مخطوط الإسكوريال منها ستة أسفار،من السفر السابع إلى السفر الثاني عشر،ويلي هذا السفر الأخير ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه.وهذه الأسفار فيما يبدو–عدا السفر الأخير–متقاربة الأحجام،يحتوي كل منها على نحو أربعين ترجمة،وهذا عدا السفر الأخير الذي يضم ثمان تراجم فقط.ومعنى ذلك أن مخطوط الإسكوريال بحجمه،وعدد أسفاره نصف المؤلف الأصلي،وتكون نسخة الإسكوريال هذه مكونة من جزئين كبيرين،وصل إلينا منهما فقط هذا الجزء الثاني،الموسوم فوق صفحته الأولى بأنه (السفر الثاني)من مختصر الإحاطة،وهو من محتويات المكتبة الزيدانية الشهيرة،التي استولى عليها الإسبان في عرض البحر في أوائل القرن السابع عشر،وضمت إلى محتويات المكتبة الملكية بالإسكوريال»[4].

5–أسلوبه:

---

(1) ....وصل إلى مكانته في قومه بسبب علمه (!)

(2)ابن الخطيب:الإحاطة،مج:1،ص:514 وما بعدها.

(3)الحسن بن محمد السائح:منوعات ابن الخطيب،ص:49.

(4) ابن الخطيب: المصدر السابق، مج: 2، ص:5 .

ومن المسلم به أن أسلوب لسان الدين ابن الخطيب يتسم بالجزالة،والقوة،فهو معروف ببلاغته،ومستواه الرفيع في اللغة،والأدب،وشتى أصناف المعرفة،فضلاً عن براعته في سرد الأحداث بطريقة شائقة،وممتعة،على الرغم من أن القارئ قد يجد صعوبة في فهم بعض العبارات،نظراً للبعد الزمني.

إن أسلوب لسان الدين ابن الخطيب الذي تجلى من خلال كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة »،هو أسلوب قوي،وجزل،وجميل،وقد وصف الباحث الحسن بن محمد السائح أسلوبه بأنه «أسلوب مطبوع حاول فيه أن يظهر قدرته على الافتتان،والتلاعب بالكلمات،والجمل،وإظهار الثقافة العامة،والإطلاع الواسع على مختلف فروع المعرفة،ولا غرو فابن الخطيب قرأ كثيراً،واستوعب ما قرأ فعبر عن ذلك بأسلوبه الخاص الذي حاول فيه أن يكون مجدداً غير مقلد،قوياً غير ضعيف،فهو شأن كتاب عصره يكثر من السجع،ويكرر الفكرة مرتين،أو ثلاث في جمل متعددة،على أنه في كتاب(الإحاطة)لم يكثر من السجع،وحاول أن ينقل الفكرة دون تزويق أو تنميق،أما في باقي كتبه فهو يسرف في السجع دون اقتصاد،وقد تكون الجملة تحمل أفكاراً واضحة كما في كتاب (روضة التعريف)،وأحياناً يكون مملاً كما في إنتاجه الأدبي،وخصوصاً في شبابه حين يظهر غرامه بالإطناب »[1].

وقد لاحظ الباحث شوقي ضيف أن رسائله تتميز بإطناب مسرف ينطوي على اللف والدوران،ويذكر بأصحاب(التصنيع)في المشرق،إضافة إلى أن نثر ابن الخطيب يتسم بإطناب يفقد قارئه النشاط،ذلك أن منظر المعاني ينبسط أمام بصره انبساطاً يخرجها من حظيرة التنوع إلى حظيرة الاستمرار،والإملال.

وقد اقتبس النقد الذي كتبه المقري متحدثاً فيه عن أسلوب ابن الخطيب،حيث وصفه بأنه « كاتب مسترسل بليغ لولا ما في إنشائه من الإكثار،الذي لا يخلو من عثار،والإطناب الذي يفضي إلى الاجتناب،والإسهاب الذي يعقد الاهاب».

أما أسلوبه العام الذي تجلى في شتى تصانيفه فقد لاحظ الباحث شوقي ضيف أن ابن الخطيب إضافة إلى أنه اتبع التصنيع،فقد اقترن تصنيعه بظاهرة أخرى معروفة عند أصحاب التصنع «وهي ظاهرة التصنع لمصطلحات العلوم،وبالأخص اللغوية...كما يلاحظ أن ابن الخطيب يضيف إلى ذلك تكلفاً واسعاً لألوان البديع،وزخارفه.والواقع أن ابن الخطيب له أسلوبه الخاص فجمله المنتقاة تحمل معاني واضحة،وهو في كتاب(روضة التعريف)،رغم سجعاته يضمن كتابه أفكاراً مركزة واضحة في جمل أدبية رائعة،كما أنه في الإحاطة قلما يسجع،وإنما يصنع المذاهب الكلامية حين يقصد إلى ذلك متباهياً بقدرته على التلاعب بالبديع،والبيان »[2].

ومن خصائص الكتابة التاريخية عند ابن الخطيب أنه يمعن في الدقة،والضبط،إضافة إلى استبلاغه في التفصيل الواسع،وقد رأى الباحث محمد عبد الله عنان أن رسائل ابن الخطيب في الإحاطة تمتاز «بالأسلوب الرصين المشرق،واللفظ الجزل المختار.وبالرغم أن معظمها يجري على قاعدة السجع،فإنها على الأغلب خالية

---

(1)الحسن بن محمد السائح:المرجع السابق،ص:51.

(2) المرجع السابق،ص:54.

من روح التكلف،الذي يجني أحياناً على الأسلوب، والمعنى.ولابن الخطيب براعة خاصة في تخير الألفاظ،وإبراز المعاني،لا يجاريه فيها الكثيرون من أكابر الكتاب.

ولابن الخطيب مقدرة فائقة على تخير أساليب المدح،والذم،ومديحه غالباً من النوع الرفيع الذي لا يشوبه التنزل الوضيع،بل تطبعه على الأغلب نزعة من الاعتزاز،والكرامة.ويبدو ذلك في كثير من تراجم الإحاطة،وفي كثير من رسائله السلطانية.ونستطيع أن نقدم لمديحه الأدبي مثلاً بترجمة صديقه،وأستاذه أحمد بن صفوان المالقي في الإحاطة،وما كتبه عنه في (الدرر الفاخرة)،وهو الديوان الذي جمعه من شعره،وما ورد في ترجمته لشيخه أبي البركات بن الحاج البلفيقي،وفي ترجمة صديقه ابن خاتمة،شاعر المرية الكبير،وأن نقدم مثلاً لمديحه السياسي،بما كتبه عن سلاطين غرناطة المعاصرين،وما ورد في ترجمة صديقه وزميله الوزير الكبير الحاجب رضوان النصري.ففي هذه التراجم عبارات مختارة من أساليب المدح الرفيع،الذي يفيض اعتزازاً،وكرامة،واتزاناً في الوصف،والتصوير»[1] .

(1) ابن الخطيب:المصدر السابق،مج:1،ص:46.

فذلكة

وبعد،فقد توقفنا في هذا البحث مع ابن الخطيب،وكتابه(الإحاطة في أخبار غرناطة)،وركزنا على الجوانب التاريخية،والأدبية فيه،فقد كشف البحث عن حياة ابن الخطيب،وتنقله بين العدوتين(المغرب العربي والأندلس)،ثم رحلاته،وسفارته لدى السلطان أبي عنان،من قبل السلطان محمد بن أبي الحجاج بن الأحمر،كما تتبعت حياته في مختلف مراحلها،وتحولاتها من حقبة إلى أخرى،وخصائص كل فترة من الفترات في ظل التغيرات ،والتقلبات الكثيرة التي شهدها العصر،كما بينت سبب تسميته بذي الوزارتين،وبذي العُمرين،وبذي الميتتين.

ونبه إلى أن الفترة التي عاش فيها ابن الخطيب(القرن الثامن الهجري)كانت فترة اضطراب،وصراع بين غرناطة الصامدة في وجه هجمات الغرب المسيحي،وحركة الاسترجاع(المسيحية)،وكانت نقطة قمة الجبل الذي أتمت فيه الحضارة الإسلامية نهاية صعودها،وبدأت تأخذ طريقها نحو التراجع،والانحدار،وبدأ يضمر توهجها.

كما عرّف البحث بمصنفات ابن الخطيب في الأدب،والتصوف،والتراجم،والطب،والشعر،والتي تجاوزت الخمسين مؤلفاً،كما أشارت إلى أن بعض المؤلفات التي نُسبت إليه خطأ لجملة من الاعتبارات،لتشابه أسماء مؤلفيها،أو لتحريف أسماء مؤلفاته،ويرجع الفضل في تجلية هذا الغموض،والكشف عنها إلى الأستاذ محمد التطواني...،وكشف عن مصادره، فقد اعتمد ابن الخطيب في تصنيفه لكتاب(الإحاطة)على مصادر كتابية،ومصادر شفوية،وكان يذكر هذه المصادر،و يتغاضى عن ذكرها أحياناً أخرى،وقد أشرنا في المتن إلى أهم مصادره الكتابية،وقدمنا عروضاً موجزة عنها،وأما مصادره الشفوية فتتعلق بمعاصريه،وهم الكثرة الغالبة في كتاب(الإحاطة) من شيوخه،وتلامذته،وأصدقائه،وكان أحياناً يتحصل على المعلومات من الأشخاص أنفسهم،أو من ذويهم،ومعارفهم،واستعان ابن الخطيب فيما يتعلق بسلاطين الدولة النصرية،ووزرائها على الوثائق،والرسائل الديوانية،كما اعتمد على كتبه التي ألفها من قبل ككتاب(اللمحة البدرية في الدولة النصرية)،وغيره.

وسلط الضوء على منهج ابن الخطيب في هذا الكتاب،وعلى طريقة الترجمة فيه،وقد استطاع أن يجعل كل ترجمة مركزاً لدائرة معارف(تاريخية وأدبية)تحوي نسبه،وكنيته،واسمه،وحاله،ومشيخته ،وتآليفه،وشعره،ومحنته(إن كان قد تعرض لمحنة في حياته)،ووفاته.وقد رسم ابن الخطيب خطة،ومنهجاً واضحين،رتب عناصرهما ترتيباً حسناً،وتغلغل في التفاصيل،وتعمق،ورصد أخبار المترجم له ،متابعاً أوليته(نسبه)،وقد تأثر بمنهجه هذا المقري في كتابيه(نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)،و(أزهار الرياض في أخبار عياض).

تتجلى القيمة العلمية،والأدبية والتاريخية لكتاب(الإحاطة في أخبار غرناطة)، من حيث إنه يعد أحد المصادر المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في تاريخ غرناطة الأدبي،والسياسي،والاجتماعي،وهو ينفرد عن الكتب القديمة بكونه يكشف النقاب عن الحركة العلمية،والأدبية والتاريخيةالسائدة، من خلال تقديم تراجم وافية عن أدباء،وعلماء غرناطة من مختلف العصور،كما يكتسي أهمية بالغة كونه يحوي رسائل،ومقطوعات نثرية ،وشعرية، الكثير منها غير متوفر في مصادر أخرى.

وفي النهاية،يمكن القول إن ابن الخطيب هو خير من أعطانا صورة وافية عن التاريخ الأدبي،والسياسي،والاجتماعي لغرناطة عبر عدة عصور من خلال هذا السفر النفيس الذي كان موضوع هذا البحث.

مصادر ومراجع البحث:

أولاً:المصادر:

1-ابن الأحمر،إسماعيل بن يوسف محمد:

-روضة النسرين في دولة بني مرين،تصدير الأستاذ عبد الوهاب بن منصور،الطبعة الثانية،المطبعة الملكية بالرباط،1382هـ،1962م.

2-ابن الأحمر،إسماعيل بن يوسف محمد:

-نثير فرائد الجمان في نظم فحول تلمسان،دراسة وتحقيق الأستاذ رضوان الداية،دار الثقافة للطباعة والنشر،بيروت،1967م.

3-ابن بطوطة،محمد بن عبد الله اللواتي(ت:779هـ،1378م):

-تحفة الأنظار في غرائب الأمصار،وعجائب الأخبار المعروفة:برحلة ابن بطوطة،دار صادر،ودار بيروت للطباعة،والنشر-بيروت،1384هـ،1964م.

4-ابن حجر،شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني(ت:852هـ،1449م):

-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،الطبعة الأولى،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،حيدرأباد الدكن،الهند1930-1932م.

5-ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-الإحاطة في أخبار غرناطة،أربعة أجزاء،الطبعة الثانية،مكتبة الخانجي بالقاهرة،1393هـ-1973م.

6-ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإسلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام،تحقيق:ليفي بروفنسال،ونشر تحت عنوان: تاريخ إسبانيا الإسلامية،الطبعة الثانية،دار المكشوف،بيروت،1956م،والقسم الثالث،تحقيق:الدكتور أحمد مختار العبادي،والأستاذ إبراهيم الكتاني،ونشر تحت عنوان:تاريخ المغرب في العصر الوسيط،دار الكتاب،الدار البيضاء،1964م.

7- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-جيش التوشيح،تحقيق:الأستاذ هلال ناجي،مطبعة المنار،تونس،1967م.

8- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-رقم الحلل في نظم الدول،المطبعة العمومية،تونس،1316هـ.

9- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-روضة التعريف بالحب الشريف،تحقيق:الأستاذ عبد القادر أحمد عطا،الطبعة الأولى،طبع ونشر دار الفكر العربي،القاهرة،1387هـ،1968م.

10- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة،تحقيق:الدكتور إحسان عباس،نشر دار الثقافة،مطبعة عيتاني الجديدة،بيروت،1963م.

11- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-كناسة الدكان بعد انتقال السكان،تحقيق:الدكتور محمد كمال شبانه،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،1386هـ،1966م.

12- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-اللمحة البدرية في الدولة العصرية،نشر بعناية محب الدين الخطيب،المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة،1347هـ.

13- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس «مجموعة من رسائله »،تحقيق:الدكتور أحمد مختار العبادي،مطبعة جامعة الاسكندرية،1958م،الاسكندرية.

14- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-معيار الاختيار في مركز المعاهد والديار،مطبعة أحمد يمني،فاس،1325هـ.

15- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:776هـ):

-نفاضة الجراب في علالة الاغتراب،تحقيق:الدكتور أحمد مختار العبادي،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،1968م.

16-ابن الخطيب القسنطيني،أبو العباس أحمد بن حسن بن علي،الشهير بابن قنفذ(ت:810هـ،1480م):

-الوفيات،المطبعة الثعالبية،الجزائر،بلا تاريخ.

17-ابن خلدون،أبو زيد عبد الرحمن،(ت:808هـ،1406م):

-العبر،وديوان المبتدأ والخبر،في أيام العرب والعجم والبربر،في سبعة مجلدات،الطبعة الثانية،مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت،1956-1961م.

18-ابن خلدون،أبو أبو زكرياء يحي،(ت:1378م):

-بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،الطبعة الأولى،مطبعة بيبر فونتانة،الجزائر الشرقية1903-1910م.

19-ابن خلكان،أبو العباس،أحمد بن محمد،شمس الدين،(ت:681هـ،1281م):
-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،نشر بعناية:محمد محي الدين عبد الحميد،الطبعة الأولى،مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة،1367هـ-1948م.
20 - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (تـ784 هـ) :
-سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405 هـ/1985 م.
21-ابن سلام،أبو عبد الله محمد الجمحي البصري،(ت:232هـ):
-طبقات الشعراء،نشر حامد عجان الحديد الكتبي،مطبعة السعادة،بجوار محافظة مصر،بلا تاريخ.
22 - ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (تـ327 هـ) :
-طبائع النساء، تحقيق : محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة.
23-ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (تـ571 هـ) :
-تاريخ مدينة دمشق - تراجم النساء - تحقيق : سكينة الشهابي، دمشق،1982م
24-ابن العماد،أبو الفلاح عبد الحي،(ت:1089هـ):
-شذرات الذهب في أخبار من ذهب،في ثمانية مجلدات،مكتبة القديس،القاهرة،1350هـ-1351هـ.
25-ابن غازي،أبو عبد الله محمد المكناسي،(ت:917هـ):
الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون،المطبعة الملكية،الرباط،384هـ،1964م.
26-ابن القاضي،أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي،(ت:1025هـ،1916م):
-جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس،طبعة حجرية،فاس،1309هـ.
27-ابن القاضي،أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي،(ت:1025هـ،1916م):
-درة الحجال في غرة أسماء الرجال،نشر،ش،علوش،رباط الفتح،المطبعة الجديدة،1934م.
28-القالي، أبو علي إسماعيل (تـ356 هـ) :
-الأمالي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1407 هـ/1987 م.
29-ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم،(ت:276هـ،889م):
-الشعر والشعراء،في مجلدين،تحقيق وشرح:الأستاذ محمد شاكر،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،ج:01،طبع عام1364هـ-وج2،طبع عام:1366هـ.
30- القلقشندي، أبو العباس أحمد (تـ821 هـ) :
- قلائد الجمان، دار الكتب المصرية القاهرة، 1982 م.
31- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمرو، (تـ774 هـ) :
- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1972 م.

32- ابن مريم،أبو عبد الله محمد التلمساني،(ت: بعد1014هـ،1605م):
-البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،المطبعة الثعالبية،الجزائر،1326هـ،1908م.
33- ابن منظور، المصري (تـ711 هـ) :
-لسان العرب، تحقيق، يوسف الخياط، بيروت.
34-المقري،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت:1041هـ):
-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،دار صادر،بيروت،لبنان،1388هـ-1968م.
35-المقري،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت:1041هـ):
-أزهار الرياض في أخبار عياض،في ثلاثة أجزاء،تحقيق الاساتذة:مصطفى السقا،إبراهيم الأبياري،عبد الحفيظ شلبي،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1939-1942م.
36-الناصري،أبو العباس أحمد السلاوي(ت:1897م):
-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،في تسعة أجزاء،تحقيق ولدي المؤلف الأستاذين:جعفر،ومحمد،مطبعة دار الكتاب بالدار البيضاء،1954-1956م.
37-ابن النديم،محمد بن اسحاق،(توفي حوالي:1047م):
-الفهرست،مطبعة الاستقامة،القاهرة،بلا تاريخ.
38-ياقوت الحموي،أبو عبد الله الرومي البغدادي(ت:626هـ،1229م):
معجم البلدان،في أربعة مجلدات،منشورات مكتبة الأسدي،طهران،1965م.

ثانياً:المراجع:

1-أحمد أمين،(ت:1954م):
-ظهر الإسلام،في أربعة مجلدات،الطبعة الخامسة،منشورات دار الكتاب اللبناني،بيروت،1965م.
2-أحمد حسن الزيات:
تاريخ الأدب العربي،الطبعة الثالثة والعشرون،مكتبة نهضة مصر بالفجالة،القاهرة،بلا تاريخ.
3-أنيس المقدسي:
-تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،الطبعة الثانية،دار العلم للملايين،بيروت،1960م.
4-بالنثيا،انخل جنثالث :
-تاريخ الفكر الأندلسي،نقله عن الاسبانية الدكتور حسين مؤنس،الطبعة الأولى،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1955م.
5-بروكلمان،كارل(ت:1956م):

-تاريخ الشعوب الإسلامية،نقله إلى العربية:نبيه أمين فارس،ومنير البعلبكي،الطبعة الرابعة،دار العلم للملايين،بيروت،1965م.

6-بطرس البستاني(ت:1883م):

-أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث،الطبعة الخامسة،دار صادر،بيروت،1958م.

7- بوملحم (علي) :

- في الأدب وفنونه، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان.

8-ابن الخطيب في دائرة المعارف،قاموس عام لكل فن ومطلب،بإدارة فؤاد أفرام البستاني،المجلد الثالث،بيروت،1960م.

9-التطواني،محمد بن أبي بكر :

-ابن الخطيب من خلال كتبه،في جزأين،الجزء الأول،نشر دار الطباعة المغربية،تطوان،1954م.

الجزء الثاني،طبع دار الطباعة كريما ديس،تطوان،1959م.

10-جرجي زيدان(ت:1914م):

-تاريخ آداب اللغة العربية،في أربعة أجزاء،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،1967م.

11-خالد الصوفي:

-تاريخ العرب في إسبانيا،الطبعة الأولى،نشر وتوزيع مكتبة دار الشرق بحلب.

12-خفاجي،محمد عبد المنعم:

-قصة الأدب في الأندلس،المطبعة المنيرية،1955-1956م.

13-داغر يوسف أسعد:

-مصادر الدراسة الأدبية،الجزء الأول،مطبعة دير المخلص،صيدا،لبنان.

14-الرافعي،مصطفى صادق(ت:1937م):

-تاريخ آداب العرب،في ثلاثة أجزاء،تصحيح:محمد سعيد العريان،مطبعة الاستقامة،القاهرة1359هـ،1940م.

15-الركابي جودت:

-في الأدب الأندلسي،دار المعارف،القاهرة،1966م.

16-الركابي جودت:

-الطبيعة في الشعر الأندلسي،دمشق،مطبعة الجامعة1959م.

17-الزركلي،خير الدين:

-الأعلام:قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين،والمستشرقين،في عشر مجلدات:الطبعة الثانية،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان.

18-شبانة محمد كمال :

-المؤرخ الوزير،لسان الدين ابن الخطيب،بحث نشر في «دعوة الحق»،مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية،العدد الثاني من السنة التاسعة،جوان1966م.

19-شكيب أرسلان(ت:1946م):

-الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،في ثلاثة أجزاء،منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت،لبنان،بلا تاريخ.

20--شوقي ضيف:

-الفن ومذاهبه في النثر العربي،الطبعة الثالثة،منشورات مكتبة الأندلس،بيروت،لبنان، 1956م.

21-شوقي ضيف:

-الفن ومذاهبه في الشعر العربي،الطبعة الرابعة،دار المعارف،القاهرة، 1965م.

22-طه حسين:

-حديث الأربعاء،الجزء الأول،دار المعارف بمصر، 1959م.

23- عبد العزيز بن عبد الله:

-الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب،دار الطباعة المغربية،تطوان، 1953م.

24-عبد الهادي بوطالب:

-وزير غرناطة،لسان الدين محمد بن الخطيب السلماني،الطبعة الثانية،نشر دار الكتاب بالدار البيضاء، 1960م.

25-عبد السلام هارون:

-تحقيق النصوص ونشرها،مطبعة الخانجي،القاهرة، 1954م.

26-عبد الله كنون:

-لسان الدين بن الخطيب:الكاتب الساخر،فصلة من مجلة البحث العلمي،يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط،العدد الثاني،السنة الأولى1384هـ، 1964م،مطبعة فضالة المحمدية.

27-عبد الله كنون:

-النبوغ المغربي،ثلاثة أجزاء في مجلد واحد،الطبعة الثانية مكتبة المدرسة،ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،بيروت، 1961م.

28-عبد العزيز الأهواني:

-الزجل في الأندلس،مطبعة الرسالة،القاهرة1957م.

29-عبد العزيز محمد عيسى :

-الأدب العربي في الأندلس،مطبعة الاستقامة،القاهرة،سنة:1936م.

30-غومس،اميليو،غرسية :

-الشعر الأندلسي،بحث في تطوره، وخصائصه،نقله عن الاسبانية:الدكتور حسين مؤنس،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1952م.

31- -كامل كيلاني:

-نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي،الطبعة الأولى،المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة،1924م.

32 -الكتاني عبد الحي:

-فهرس الفهارس والإثبات،ومعجم المعاجم والمشيخات،والمسلسلات،في مجلدين:المطبعة الجديدة،بطالعة فاس:1946م-1947م.

33-كحالة عمر رضا:

-معجم المؤلفين:تراجم مصنفي الكتب العربية،خمسة عشر جزءاً في ثمانية مجلدات،مطبعة الترقي،دمشق،1957-1961م.

34-ليفي بروفنسال:

-حضارة العرب في الأندلس،ترجمة:ذوقان قرقوط،دار مكتبة الحياة،بيروت،بلا تاريخ.

35-محمد عبد الله عنان :

- لسان الدين ابن الخطيب،حياته وتراثه الفكري،الطبعة الأولى،نشر مكتبة الخانجي،مطبعة الاستقلال الكبرى،1388هـ،1968م.

36-محمد عبد الله عنان:

-نهاية الأندلس،وتاريخ العرب المنتصرين،الطبعة الثانية،مطبعة مصر،شركة مساهمة مصرية القاهرة،1978هـ-1958م.

37-محمد كرد علي:

-غابر الأندلس وحاضرها،الطبعة الأولى،المطبعة الرحمانية بمصر،القاهرة،1341هـ،1923م.

38-محمد كرد علي:

-كنوز الأجداد،مطبعة الترقي،دمشق،1950م.

39-محمد بن محمد مخلوف(ت:1936م)

-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،في جزأين،المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة،1949هـ.

40-المراكشي،عباس بن إبراهيم:
-الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام،في ثمانية مجلدات،طبع منه خمسة مجلدات،المطبعة الجديدة بطالعة فاس،1936-.1939
41--مكي الطاهر أحمد:
-دراسة في مصادر الأدب،الطبعة الثانية،دار المعارف،القاهرة،1971م.
42-الميلي مبارك بن محمد:
-تاريخ الجزائر في القديم والحديث،بيروت،لبنان،1963م.
43-مجهول
-تاريخ تأسيس مدينة فاس
ثالثاً:الموسوعات:
1-دائرة المعارف الإسلامية،ترجمة:محمد ثابت الفندي،أحمد الشنتناوي،إبراهيم زكي خورشيد،عبد الحميد يونس،حمسة عشر جزءاً في اثني عشر مجلداً.
2-دائرة المعارف،قاموس لكل فن ومطلب،بإدارى فؤاد أفرام البستاني،في سبعة مجلدات،طبع ببيروت،1956-1967م.
3-دائرة معارف القرن العشرين،فريد وجدي محمد،في عشر مجلدات،الطبعة الثالثة،دار المعارف للطباعة والنشر،بيروت،لبنان1971م.
4-الموسوعة العربية الميسرة،تحت إشراف:غربال،محمد شفيق،دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،القاهرة،1965م.